المكتبة القبطية على الانترنت

زيارة الموقع

من تفسير وتأملات
الآباء الأولين

رسالة ليعقوب

القمص تادرس يعقوب ملطي

من تفسير وتأملات
الآباء الأدليين

رسالة يعقوب

القس تادرس يعقوب

مقدمة

رسائل الكاثوليكون

✝ تلقب الكنيسة الرسائل السبع (يعقوب ، ورسالتى بطرس ورسائل يوحنا الثلاث ، يهوذا) بالكاثوليكون أى الجامعـــة [1] ، وذلك لأنها إتسمت بالمعمودية ، فلم تكتب إلى جماعة معينة أو كنيسة خاصة أو مدينة أو شخص كما هو الحال فى معلمنا بولس الرسول .

وإن كانت الرسالتان الثانية والثالثة من رسائل معلمنا يوحنا الحبيب قد وُجهتا إلى شخصين معينين لكن لصغرهما يمكن إعتبارهما إمتداداً للرســـالة الأولى ، خاصة وانهما يحملان نفس الطابع والأسلوب . . .

✝ هناك تشابه بين الرسائل وبعضها البعض وعلى وجه الخصوص بين :

(ا) رسالة بطرس الأولى ويعقوب .

(ب) « « الثانية ويهوذا .

(ج) بين رسائل يوحنا الثلاث .

✝ تعطى الكنيسة إهتماماً لهذه الرسائل فتختم قراءة فصل معين أو أكثر على المؤمنين فى أكثر المناسبات وخاصة فى صلوات الأسرار المقدسة . . .

✝ يقول القديس ايرونيموس عن هذه الرسائل أنها إمتازت بالإسهاب مع الايجاز ...إسهاب فى المعانى مع إيجاز فى العبارات مما يجعلها صعبة الإدراك كما ينبغى.

✝ ✝ ✝

---

(١) لثبت هذه الرسائل بالكاثوليكون منذ القرون الأولى وجاء ذلك فى كتاباتهم متتالية

- دعى العلامة أوريجانوس فى تفسيره ٢ بو ٦ : ٨ رسالة بطرس الأولى بالكاثوليكون.
- دعى القديس ديوناسيوس الاسكندرى رسالة يوحنا الأولى بالكاثوليكون .
- دعى يوسابيوس القيصرى فى تاريخه (٢ : ٢٠) يعقوب ويهوذا بالكاثوليكون .

رسالة يعقوب

كاتب الرسالة

ورد فى العهد الجديد ٣ أشخاص باسم يعقوب .

١ – **يعقوب بن زبدى** (مت ١٠ : ٢) أحد الإثنى عشر تلميذاً ، وأخ يوحنا الإنجيلى . ولايمكن أن يكون كاتب الرسالة إذ قتله هيرودس أغريباس الأول سنة ٤٤ م (أع ١٢ : ١) . وحتى ذلك الوقت لم تكن قد تأسست الكنائس المسيحية بشكل يسمح بكتابة رسائل لها ، ولا كان قد حدث التشتيت الذى ذكره الكاتب ، ولا ظهرت البدع التى أوردها .

٢– **يعقوب بن حلفى** (مت ١٠ : ٣) وتوجد أبحاث كثيرة لتحقيق ما إذا كان هو نفسه يعقوب أخو الرب أم شخص آخر .

٣ – **يعقوب أخو الرب** ، (غل ١ : ١٩) أى إبن خالته ، وقد أجمع الرأى على أنه كاتب الرسالة . وفيما يلى موجز لحياته :

(ا) إن لم يكن هو نفسه يعقوب بن حلفى أحد الاثنى عشر[٢] وشقيق يوسى ويهوذا وسمعان [٣] ، فإنه يرى البعض أنه لم يكن مؤمناً بالرب أثناء حياة السيد على الأرض وذلك كقول الانجيلى ، لأن إخوته أيضاً لم يكونوا يؤمنون به ، يو ٧ : ٥ . وقد آمن به بعد القيامة إذ جاء فى أع ١ : ١٤ أن التلاميذ كانوا مجتمعين هم واخوة المسيح .

(ب) يذكر **القديس ايرونيموس** ، كما يؤكد التاريخ ، أنه رُسم أسقفاً على أورشليم وبقى فيها حتى يوم استشهاده . وقد وضع قداساً لازال الأرمن يصلون به .

---

(٢) مت ١٠ : ٣ ، مر ٣ : ١٨ ، لو ٦ : ١٥ ، أع ١ : ١٣ .

(٣) يرى القديس جيروم أنه فى مر ١٥ : ٤٠ « مريم أم يعقوب الصغير ويوسى » كلمة « الصغير » تعنى للمقارنة بين شخصين فقط فلا يوجد يعقوب ثالث ، وبهذا يكون يعقوب أخو الرب هو نفسه يعقوب بن حلفى (الصغير) ، ولكن بعض الآباء يرون أن الكلمة فى الأصل لا تدل على المقارنة بين اثنين فقط .

(ج) قال عنه **ابيفانيوس واوسابيوس** أنه كان نذيراً للرب من بطن أمه، فكان لا يشرب خمراً ولا مسكراً ولا يحلق شعر رأسه ويقتات بالبقول.

(د) دعى بيعقوب البار، إذ كان محباً للعبادة. ومن كثرة ركوعه للصلاة كانت ركبتاه كركبتى جمل.

ويذكر **القديس ايرونيموس** أن اليهود فى بداية الأمر كانوا يهابونه جداً ويتباركون على لمس ثيابه. وفى أحد المرات جاءوا به إلى جناح الهيكل لكى يشهد ضد المسيح فقال لهم «إن يسوع الآن جالس فى الأعالى عن يمين الآب... وسيدين الناس، فلما سمعوه يقول هذا صرخ البعض قائلا «أوصنا لإبن داود»، فحنق عليه الكتبة والفريسيون وثاروا ضده وهم يقولون «لقد ضل البار» ثم طرحوه من فوق إلى أسفل. أما هو إذ وقع إنتصب على ركبتيه طالباً الغفران لهم فأسرعوا برجمه[4]، ثم أتى صباغ وضربه بمدقة على رأسه فاستشهد للحال نحو سنة ٦٢ م، ودفن فى موضع استشهاده بالقرب من الهيكل[5].

ويقول **يوسيفوس المؤرخ** أن من أسباب خراب أورشليم أن أهلها قتلوا يعقوب البار فنزل غضب الله عليهم.

(ه) فى حوالى سنة ٥٢ م رأس المجمع الأول فى أورشليم بخصوص إيمان الأمم. وقد أعلن القديس يعقوب قرار المجمع (أع ١٥).

(ز) دعاه الرسول بولس أحد أعمدة الكنيسة، وذكره قبل بطرس ويوحنا (غلا ٢ : ٩).

لمن كتبت ؟

كتبت إلى «الإثنى عشر سبطاً الذين فى الشتات». وقد كثرت الآراء فى تفسير هذا النص نذكر منها :

١ - يرى البعض أنها كتبت إلى الذين كانوا قبلاً يهوداً وقد تشتتوا قبل

---

(٤) يوسيفوس ك ٢٠ ف ١١. (٥) أوسابيوس ك ٢ ف ٢٢.

المسيحية ، وقد استخدم الله هذا التشتيت فى الكرازة بالمسيحية ، إذ آمن بعض منهم عندما جاءوا إلى أورشليم فى يوم الخمسين .

هؤلاء الذين كانوا قبلا يهوداً وآمنوا بالمسيح صاروا موضع ضيق وإضطهاد من أقربائهم اليهود الذين رفضوا الإيمان بالسيد المسيح .

٢ - يرى آخرون أن اليهود إذ رأوا بعضاً آمنوا بالسيد المسيح ، وإذ كانوا ينتظرون مسيحاً حسب فكرهم : يعطيهم سلطاناً زمنيا ، ويجعلهم سادة العالم ويخضع الممالك لهم . .. وللأسف هذه الفكرة الصهيونية لا زالت فى أذهان اليهود . .. لهذا أثاروا الرومان ضد المسيحيين ، فلجأ المسيحيون إلى الأمم إذ وجدوا بين الوثنيين صدراً رحباً أكثر مما لليهود الأشرار .

٣ - يرى البعض أن ذكره الإثنى عشر سبطاً لا يعنى أنهم من أصل يهودى وإنما إشارة إلى أن الكنيسة - أيا كان أعضاؤها - صارت الوريثة للآباء روحياً ، وانتفت صفة «إسرائيل» من اليهود . .. لهذا فاننا لا نؤمن بأن اليهود هم إسرائيل وإنما يدّعون هذا ، فقد أنكروا الإيمان وانتزعت عنهم صفة شعب الله .

زمن كتابتها

كتبت فى وقت إضطهاد اليهود للكنيسة ، فقد أثار أغنياؤهم ورؤساؤهم الإضطهاد (أع ٤: ١، ٥ : ١٧) وكان ذلك قبل إضطهاد دوميتان وتراجان .

وكتبت قبل سقوط أورشليم أى قبل تشتيت اليهود (٦٨ م) .

ويرجح البعض أنها كتبت حوالى سنة ٦٠ أو ٦١ م ، فى الوقت الذى إنتشرت فيه الضلالات التى فندها الرسول فى هذه الرسالة .

غاية الرسالة

١ - تشجيع المسيحيين لإحتمال الضيق الذى يعانونه من اليهود ، والكشف عن مفهوم التجارب على ضوء صليب الرب المتألم .

٢ - تشجيعهم على الثبات فى الإيمان بالرب إيماناً عملياً .

٣ ـ توضيح مفهوم الإيمان الحي وارتباطه بالأعمال .

٤ ـ إظهار خطورة بعض الخطايا التي يظنها البعض تافهة .

مميزاتها وارتباطها بالأسفار الأخرى

١ ـ إتبعت الأسلوب العملي بخصوص قداسة الحياة المسيحية .

٢ ـ سهولة التعبير وإيضاحه وخصوبة التصوير بإيجاز . وقد جاء بها كثير من التشبيهات المستقاة من فلسطين (١١:١ ، ١٢:١١:٣ ، ٥ : ٧ ، ١٨:١٧) .

٣ ـ الحزم في التوبيخ مع فيض من الحنو والحب .

٤ ـ تتشابه مع الموعظة على الجبل من جهة كثرة الوصايا العملية ، حتى ظن البعض أنها تجميع لبعض أقوال الرب يسوع . وقد تحدث كلاهما على النظرة الروحية للناموس في أعماقه ، وعن أبوة الله ، والاختيار بين حب الله وحب العالم .

٥ ـ تتشابه في كثير من عباراتها مع يشوع بن سيراخ[٦] والحكمة[٧] ورسالة بطرس الأولى[٨] .

٦ ـ إرتبطت بالعهد القديم ، ففي الحديث عن الصبر أشار إلى الأنبياء وأيوب (يع ٥) ، وفي الحديث عن الصلاة أشار إلى إيليا ... لكنها اتسمت بطابع العهد الجديد من تكرار كلمة « اخوة » ، وذكره الولادة الجديدة (١٨:١) وعن الناموس الكامل ناموس الحرية (٢٥:١) وأسرار الكنيسة (يع ٥) ...

---

(٦) راجع يع ٦:١ مع سى ٢٨:١ ، يع ١١،٩:١ مع سى ٣١ : ٥ ، يع ٤،٢:١ مع سى ١:٢ ـ ٥ ، يع ١٣:١ مع سى ١١:١٥ ـ ٢٠ ، يع ١٩:١ مع سى ٢٩:٤ ، يع ٢ : ١ ـ ٦ مع سى ٢٦:١٠ ـ ٣٤ ، يع ٢:٣ مع سى ١٩:١٦،١٧ ، يع ٩:٣ مع سى ٨:١٧، يع ١٣:٥ مع سى ٣٨ : ٩ ـ ١٥ .

(٧) راجع يع ٥:١ مع حك ٤:٩ ـ ٦ ، يع ٧:١ مع حك ١٥:٧، ١٦ ، يع ١٩:١ مع حك ١١:١ ، يع ٦:٢ مع حك ١٠:٢، ١٩ .

(٨) راجع يع ٣،٢:١ مع ١ بط ٧،٦:١ ٤ : ١٢، ١٣ ، يع ١٠:١، ١١ مع ١ بط ٢٤:١ ، يع ١٨:١ مع ١ بط ٢٣،٣:١ ، يع ٢١:١ مع ١ بط ٢٫١:٢ ، يع ٤ : ١٠ مع ١ بط ٦:٥ ، يع ٥ : ٢ مع ١ بط ٤ : ٨ .

هل هناك تناقض بينها وبين رسائل الرسول بولس ؟

ظن البعض بسبب سطحيتهم فى تفهم كلمة الله أن هناك تناقضاً فى الفكر بين ما ورد فى هذه الرسالة وما نادى به الرسول بولس خاصة رسالته إلى أهل رومية، ظانين أن الرسول يعقوب لا يبالى بالإيمان والرسول بولس لا يبالى بالأعمال ، لكن من يدرس الرسائل يجد :

١- عدم وجود تعارض فى الفكر بين الرسولين ، خاصة وان كليهما كانا على اتفاق فى المجمع الأول الذى رأسه يعقوب البار (أع ١٥) .

٢ - أن الرسول يعقوب يحدث أناساً مؤمنين إنحرف بعضهم عن السلوك فى النور بدعوى أن الإيمان وحده قادر أن يبرر ولا حاجة للأعمال ، أما الرسول بولس فهو كرسول للأمم واجه جماعة من الذين كانوا أصلا يهوداً نادوا بضرورة تهوّد الأمم واختتانهم جسدياً متكلين على أعمال الطقس اليهودى فى ذاتها[٩] انها تبرر الإنسان ، هذا من جانب ومن جانب آخر فان الذين كانوا أصلا أمماً إتكلوا على أعمالهم قبل الإيمان لتبريرهم . لهذا لا نعجب ان ركز يعقوب الرسول على الأعمال وان ركز الرسول بولس على الإيمان رافضاً الاتكال على أعمال الطقس اليهودى فى ذاته وأعمال البر الذاتى .

٣ - يتفق الرسول بولس مع الرسول يعقوب فى ضرورة الأعمال للتبرير ، ولكن أية أعمال ؟ الأعمال المؤسسة على استحقاقات دم المسيح ، وليس أعمال البر الذاتى ، ويؤكد ذلك بقوله « ان كان لى **كل الإيمان** حتى انقل الجبال ولكن ليست لى محبة فلست شيئاً » ١ كو ١٣ : ٢ .

ان الإيمان بدون المحبة ليست بشىء فلا يبرر.. وما هى المحبة الا كما عرفها الرسول فى نفس الإصحاح انها أعمال محبة عملية « تتأنى وترفق . لا تحسد ... » .

---

(٩) أخذت المسيحية منذ بدء نشأتها الكثير من النظم والعبريات الروحية التى كانت قائمة ، لكنها امتنعت عن الختان الجسدى والذبائح الدموية وغير ذلك من الأمور التى كانت ظلالا للعهد الجديد (أرجو من الله أن يسمح بإفراد بحث خاص بالكنيسة الأولى وارتباطها بالنظم والطقوس السابقة) .

ولا غرابة ان رأينا الرسول بولس الذى ركز على الإيمان يؤكد أن المحبة أعظم من الإيمان (١ كو ١٣ : ١٣) .

٤ ـ ولا يقف الرسول بولس عند ضرورة الأعمال بل يؤكد أن الأعمال الشريرة تهلك الإنسان حتى ولو كان مؤمناً [١٠] .

٦ ـ لا يتجاهل الرسول يعقوب الإيمان (يع ١ : ٦ ، ٥ : ١٥) .

أقسام الرسالة

١ ـ التجارب الخارجية والداخلية .	الاصحاح الأول
٢ ـ العبادة الزائفة .	« الثانى
(أ) محاباة الأغنياء .	
(ب) الايمان بغير أعمال .	
٣ ـ اللسان والحكمة .	« الثالث
٤ ـ الشهوات الأرضية .	« الرابع
٥ ـ الغنى الزمنى والغنى السماوى .	« الخامس (١ ـ ١١)
٦ ـ ارشادات .	« « (١٢ ـ ٢٠)

† † †

(١٠) راجع رو ٦ : ١ ـ ١٢ ، عب ١٠ : ٢٦ ، ١ ى ١ : ٦ ، غلا ٥ : ١٩ ـ ٢١ ، ٢ بط ١ : ٨ ، ٩ .

يتحدث الرسول فى هذا الأصحاح عن **التجارب الخارجية والداخلية** :

١ – مقدمة (تحية) .	١
٢ – بركات التجارب الخارجية .	٢ – ٤
٣ – كيف نحتمل التجربة ؟	
أولا : بالتناء الحكمة السماوية .	٥ – ٧
ثانيا : بالتناء الاتضاع .	٨
ثالثا : بالتطلع الى السماويات .	٨ – ١٢
٤ – التجارب الداخلية .	١٣ – ١٥
٥ – الله أبونا لايهب الا الصلاح	١٦ – ١٧
٦ – مولدنا كأولاد لله .	
أولا : الاسراع فى الاستماع	١٨
ثانيا : الابطاء فى التكلم	١٩
ثالثا : الابطاء فى الغضب	١٩ – ٢٠
رابعا : نزع بذور الشر وغرس الكلمة	٢١ – ٢٥
خامسا : تلجيم اللسان	٢٦
سادسا : الرحمة بالآخرين	٢٦
سابعا : حفظ الانسان من دنس العالم	٢٧

† † †

١ – المقدمة (التحية)

« يعقوب عبد الله والرب يسوع المسيح يهدى السلام الى الاثنى عشر سبطا الذين فى الشتات [1] » .

لم يذكر الرسول نسبه حسب الجسد للرب يسوع بل يدعو نفسه « عبداً » . والعبد كما نعرف لم يكن له حق أو سلطان حتى على جسده أو إرادته أو زوجته

أو أولاده ... بل للسيد أن يتصرف كيفما يشاء . هذا عن الإلزام ، لكن هناك إنسان يحب آخر إلى درجة العبودية ، يفرح جداً أن يترك للحبوب أن يفعل به ما يريد ... هذه عبودية لكنها لا عن قسر وإكراه بل فى حب ورضى .

هذه أحاسيس الذين عشقوا الثالوث الأقدس ، فإذ يرون الآب يفتح لنا أحضانه كبنين ، والابن يقبلنا كمرؤس ، والروح القدس هيكلا له ... يرتمون فى حضن الثالوث الأقدس فى تسليم كامل كعبيد ، فيقول كل واحد منهم مع الرسول أنه « **عبد الله والرب يسوع المسيح** » .

هذا القول يكشف عن عظمة حب الرسول وإعتزازه بالتعبد لله باتضاع حقيق [1] .

† † †

بركات التجارب الخارجية

« **احسبوه كل فرح يا اخوتى حينما تقعون فى تجارب متنوعة** [2] » .

لم يقل الرسول « يا أولادى » مثل يوحنا الحبيب بل « يا إخوتى » ، والسبب فى هذا أنه يتحدث عن التجارب والآلام فيريد أن يبث فيهم روح الشجاعة كإخوة وأنهم ليسوا أبناء أطفال .

وقوله « يا إخوتى » يذكرهم برباطهم معاً فى إخوة روحية خلال الميلاد الجديد كأبناء لله ... مما يجعلهم يتقبلون الآلام ليس بغير تذمر ، ولا فى استسلام ، ولا فى فرح بل فى « كل فرح » .

وربما نقصد بكلمة « كل » هنا أنها النهاية القصوى للفرح ، أو عدم تقبل شىء غير الفرح أو كل صنوف الفرح إذ تحل بهم صنوف متنوعة من التجارب . وكأنه يقول لهم : حينما تحل بكم لا تجربة ولا اثنتين بل تجارب متنوعة يليق بكم لا أن تفرحوا بل تفرحوا كل الفرح ...

وكلمة « تقعون » فى اليونانية لا تعنى السقوط أو الدخول فى تجارب ، إنما

(١) تكملة الذى سبق شرحه فى المقدمة .

تعنى حلول التجارب واحاطتها بالإنسان من الخارج ، كما تحمل معنى المفاجأة فى الحلول وعدم توقعها . بهذا فان الرسول لا يتكلم عن التجارب التى تنبع من داخل النفس بل التى تحل بنا من الخارج .

خلال هذا النسب الجديد نتقبل هذه التجارب المتنوعة بكل فرح [٢] قائلين « كحزانى ونحن دائماً فرحون » ٢ كو ٦ : ٩ ، لأن هذه الآلام ليست بسبب الخطية بل هى سمة الرب المتألم « مكملين نقائص شدائد المسيح » كو ١ : ٢٤ .

وكما يقول **القديس يوحنا ذهبى الفم** [٣] (« لأنه كما تكثر آلام المسيح فينا كذلك بالمسيح تكثر تعزيتنا أيضاً » ٢ كو ١ : ٥ ... إنه يسمو بنفوسنا حاسباً هذه الآلام خاصة به ، **فاى فرح يشملنا ان نكون شركاء المسيح** ، من أجله نتألم؟!

بالإيمان ندرك الميلاد الجديد والقيامة ... فالذين يؤمنون بيسوع المقام حقاً يلزمهم أن يقدموا أنفسهم للآلام ... والذين لهم شركة فى آلامه يقومون معه أيضاً ، لأعرفه وقوة قيامته وشركة آلامه متشبهاً بموته لعلى أبلغ إلى قيامة الأموات » فى ٣ : ٩ - ١٢) .

ويكتب **البابا اثناسيوس الرسولى** [٤] إلى شعبه الذى تحل به التجارب على أيدى الأريوسيين قائلا (لنفرح عالمين أن خلاصنا يحدث فى وقت الالم . لأن مخلصنا لم يخلصنا بغير ألم ، بل تألم من أجلنا مبطلا الموت ، لهذا أخبرنا قائلا « فى العالم سيكون لكم ضيق » يو ١٦ : ٣٣ . وهو لم يقل هذا لكل إنسان بل للذين يخدمونه خدمة صالحة بجهاد وإيمان ، أى أن الذين يعيشون بالتقوى من جهته يُضطهدون) .

« **عالمين أن امتحان ايمانكم ينشىء صبرا** » .

سر الفرح أن التجارب مهما اشتدت هى بالنسبة للمؤمن الحقيقى امتحان ... هذا الامتحان يعين الإنسان أن يكون له صبر ، إذ يتشبه بالرب يسوع .

ويلاحظ أن الصبر هنا لا يحمل المعنى السلبى الذى فيه يستسلم الإنسان بخنوع

---

(٢) راجع ١ بط ١ : ٦ ، ٧ ، ٤ : ١٣ . (٣) القيم الروحية لعيد البنتيكوست ص ١٨ .
(٤) رسائل القيامة للبابا أثناسيوس طبعة ١٩٦٧ ص ١٦٣ .

أو يخضع للألم بشجاعة بشرية وكبت على حساب أعصابه ... فإن هذا حتماً يدفع إلى الانفجار . وإنما الصبر هنا يعني الجانب الايجابي ... الصبر المملوء حباً ... حيث يرى الإنسان بآلامه على الرب المتألم بفرح في حب ورضى ... بل يسعى هو بنفسه للألم لانه خلاله يمتثل بالرب المتألم .

« وأما الصبر فله عمل تام » .

التجربة في ذاتها مرة ، لكن الصبر الذي تنشئه له غاية كاملة وهي : **« لكي تكونوا تامين وكاملين غير ناقصين في شيء »** .

١ – **تكون تامين** أي ناضجين روحياً ... فكما أنه لايكفي لزراعة شجرة أن نلقي البذرة ونرويها ونعتني بها لكن مع إهتمامنا بها يلزم أن نصونها من الرياح في بدايتها ثم نعرضها لها قليلا قليلا حتى تنضج ، هكذا لا يكفي أننا نؤمن بالمصلوب وإنما يلزمنا بعد ولادتنا بالمعمودية أن نشترك مع الرب في آلامه حتى ينمو فينا الإنسان الجديد وينضج يوماً فيوم في رحلة روحية .

ويشبهنا **القديس يوحنا ذهبي الفم** بالطفل الذي يتعلم المشي ... فان المربية تمد يديها وتمسك بيديه وتسير به قليلاً قليلاً ، وفي خلال سيره تترك يديه إلى حين ، قد يبكي وقد يسقط لكن قلبها وعيناها وكل احاسيسها معه . هكذا يمسك الله بيدينا ويترفق بنا ... لكن لابد أن يسحب يده قليلاً دون أن يتخلى عنا . يسمح لنا بالتجارب لكي نتدرب في طريق الرحلة الروحية .

لذلك كتب **العلامة ترتليان**(*) إلى المتألمين المسجونين بسبب الإيمان يقول لهم (أيها الطوباويون إحسبوا كل ما يصيبكم **تداريب للتقوية** حتى تنالوا إكليلا أبدياً ملائكياً ، فتصيروا سكاناً للسماء مجدين إلى الأبد ... .

إن سيدكم يسوع المسيح الذي مسحكم بروحه وقادكم إلى حلبة المصارعة (للتدريب) يرى أن هذا مفيد لكم ... فيُلزمكم بتداريب قاسية لتنموا روحياً ... فالفضيلة تبنى فينا بالجهاد وتزول وتتحطم بالإنزلاق في الشهوات) .

(*) القيم الروحية لعيد النيروز .

٢ – كاملين وغير ناقصين فى شىء ... أى ليس فقط تامين ، ولكن هذا النضوج يشمل كل جوانب الحياة الروحية .

حقاً فى أشياء كثيرة نعثر جميعنا (يع ٣ : ٢) ، لكننا كأولاد لله قدر ما نخضع لمدربنا الرب يسوع مجاهدين نسمع كلمات الرسول ، بعدما تألمتم يسيراً هو يكملكم ويثبتكم ويقويكم ويمكنكم ، ١ بط ٥ : ١٠ .

† † †

٣ – كيف نحتمل التجربة ؟

أولا : بالقناعة الحكمة السماوية

« ان كان احد تعوزه حكمة فليطلب من الله الذى يعطى الجميع بسخاء ولا يعير فسيعطى له » .

بالحكمة السماوية يقف الإنسان على إرادة الله ويدرك مواعيده للصابرين إلى المنتهى فيفرح بالتجارب كمن وجد غنيمة . لهذا لا نكف عن طلبها قائلين « هب لى الحكمة الجالسة إلى عرشك ولا ترذلنى من بين بنيك . فإنى أنا عبدك وابن أمتك إنسان ضعيف قليل البقاء وناقص الفهم » حك ٩ : ٤ ، ٦ .

« **الذى يعطى الجميع** » أى يهب كل من يطلب لأنه لا يحابى أحداً . وهو يعطى بسخاء أى بفيض مجاناً بلا قيد ولا شرط . يقدم ولا يعير ، لأنه أب وأب يفرح بعطائه لإبنه كل شىء ... لكن لماذا لا ننال أحيانا ؟

ليس السبب فى الله بل فينا نحن الذين اوقف فيض عطاياه علينا بسبب عدم إيماننا لذلك يقول الرسول « **ولكن ليطلب بإيمان** » وكما يقول **الأب اسحق** [٦] (لأنه هكذا تستجاب صلاة الإنسان عندما يؤمن أن الله معتم به وقادر أن يعطيه سؤاله ، إذ لا يخيب قول الرب « كل ما تطلبونه حينما تصلون فآمنوا أن تنالوه فيكون لكم » مر ١١ : ٢٤) .

(٦) مناظرات يوحنا كاسيان طبعة ١٩٦٨ ص ٢٣٨ .

« غير مرتاب البتة » أى من غير أن ينقسم قلبه بين التجائه إلى الله واهب الحكمة واعتماده على حكمته الذاتية ، أو بين محبة الله ومحبة الأمور الزمنية .

« لان المرتاب يشبه موجا من البحر تخبطه الريح وتدفعه [٦]، أى غير ثابت بل كالموجة التى تندفع بفعل الريح على الصخر فتصير رذاذاً .

« فلا يظن ذلك الانسان أنه ينال شيئا من عند الرب. [٧] رجل ذو رأيين متقلقل فى جميع طرقه [٨] » .

يقول القديس يوحنا كاسيان [٧] (قد تأكد تماما أن صلاته لن تستجاب! من هو هذا البائس ؟ الذى يصلى ولا يؤمن أنه سيحصل على جواب) .

ثانيا : بالتناء الاتضاع

« وليفتخر الأخ المتضع بارتفاعه » .

الحكمة السماوية تجعل الإنسان لايتكل على ذاته بل يتضع أمام الرب . وبالإتضاع يحتمل المؤمن التجربة ، لأنه إذ ينحنى منسحقاً يلتصق بصليب الرب فيرتفع مبتهجا غالباً بقوة القيامة . . .

« وأما الغنى فباتضاعه » .

كذلك الغنى ... وهنا لم يقل « الأخ » حتى لايظنوا أنه يداهنهم بسبب غناهم... يجدر به ألا يفتخر بغناه بل باتضاعه، فانه بهذا يقدر أن يحتمل التجربة .

يقول القديس اكليمنضس الرومانى [٨] (لنكن أيها الإخوة متواضعين، ولننزع عنا كل رياء وعجرفة وحماقة وغضب. لنعمل بما يأمرنا به الكتاب المقدس إذ يقول الروح القدس «لايفتخرن الحكيم بحكمته ، ولايفتخر الجبار بجبروته ،ولايفتخر الغنى بغناه » أر ٩ : ٢٣ ، « وأما من إفتخر فليفتخر بالرب » ٢ كو ١٠ : ١٧ ...

لنتمسك بوصاياه وأوامره ، ونطيع كلماته المقدسة فى سلوكنا متضعين إذ يقول الكتاب « إلى هذا أنظر إلى المسكين والمنسحق الروح والمرتعد من كلامى» أش ٦٦ : ٢) .

ثالثا : بالتطلع الى السمويات

« لانه كزهر العشب يزول . لان الشمس اشرقت بالحر فيبست العشب

(٧) حياة الصلاة الأرثوذكسية . (٨) رسالة اكليمنضس الأولى طبعة ١٩٦٧ ص ١٤ .

فسقط زهره وفنى جمال منظره . هكذا يذبل الغنى فى طرقه [١١] .

تأثر الرسول بالمنظر الساحر الذى فى تلك البقاع حيث تغطى أزهار شقائق النعمان منحدرات التلال فى الصباح، لكن ما أن تظهر الشمس وتهب الرياح الحارة حتى تجف وتجمع للوقود . وقد استخدم أشعياء نفس التشبيه (٤٠ : ٦ ، ٧) ، وكذلك أيوب (١٤ : ٢) .

ان الشمس التى تهب حيـــاة للزروع تفنى جمال زهر العشب ، هكذا شمس التجارب التى تزيد المؤمن بريقاً ، تهلك المتكلين على غناهم فيذبلون فى طرقهم .

إذن ليرفع الاغنياء أنظارهم إلى السماويات بدلا من أن ينشغلوا بجمال زهر عشب الغنى الذى سرعان ما يذبل ، وبهذا تتحول تجاربهم إلى موضوع كل فرح.

« طوبى للرجل الذى يحتمل التجربة لانه اذا تزكى ينال اكليل الحياة الذى وعد به الرب للذين يحبونه [١٢] » .

طوبى لمن يحتمل التجربة إذ يتدرب على حياة التسليم ، ويتعلم حياة الجهاد ، ويلتقى المؤمن بالرب المتألم متقبلا من يديه فضائل الاحتمال والحكمة والزهـــد والحب ... هذا كله يتعلمه المؤمن فى مدرسة التجارب العملية .

وإذ تتخرج فيها نعلن حبنا لله فتنال « إكليل الحياة » الذى هو نصيب المحبين.

إنها تخرج رجالا فى الروحانية : « طوبى للرجل ... » لذلك تاق الآباء إليها:

فيقول الأب تادوس [٩] (كم هى نافعة لنا تلك التجارب والآلام التى يحسبها البعض شريرة ، فلا يحاول القديسون تجنبها بل بالحق يطلبونها بكل قوتهم محتملين إياها بشجاعة وبهذا يصيرون أحباء لله ويحصلون على إكليل الحياة الابدية . ..

ويتغنى الرسول الطوباوى قائلا: أسر بها لضعفات والشتائم والضرورات والضيقات لأجل المسيح . لأنى حينما أنا ضعيف حينئذ أنا قوى » ٢ كو ١٢ : ١٠) .

ويقول القديس اغسطينوس (إن كنت ذهباً فلماذا تخاف النار ، فإنه فى الكور يحترق الوغل وتخرج أنت نقياً ؟! وإن كنت حنطة فلماذا تهاب الدارس ،

(٩) منظرات يوحنا كاسيان ص ١٥٠ .

مع أنك لاتظهر على ما أنت عليه إلا به حيث ينتزع عنك « التبن » ويظهر أصلك وشرفك ؟!) .

† † †

٤ – التجارب الداخلية

« لا يقل أحد اذا جرب انى أجرب من قبل الله لان الله غير مجرب بالشرور وهو لا يجرب أحدا [١٣] » .

بحثت الفلسفات كثيراً عن مصدر الشر فادى البعض بوجود إلهين ، أحدهما علة الخير والآخر علة الشر ... وآخرون نادوا أن الله علة الخير والشر .

والشر هنا لايعنى ما قد يحل بنا من تجارب أو كوارث أو ضيقات ، بل الخطية والظلمة ... الأمر الذى لايتفق مع طبيعة الله كلى الصلاح الذى فيه كمال مطلق . وهنا يقطع الرسول بأن الله غير مُجرب بالشرور وبالتالى لا يجرب أحداً .

حقاً قيل عن الله انه يجلب شراً [١٠] ، وهذا كقول القديس اغسطينوس من قبيل حب الله أن يحدثنا بلغتنا قدر فهمنا ، فهو يجلب التأديب الذى نسميه شراً لخيرنا .

أما الشر أى الخطية فلا يحرضنا الله عليها ، بل ولاخلق فينا عواطف أو دوافع أو طبيعة شريرة ، بل كل ما خلقه فينا هو حسن جداً . ونحن بإرادتنا فى شخص آدم انحرفنا بما هو حسن لنشبعه بما هو ليس حسن .

فالحواس والعواطف والدوافع كلها بلا استثناء يمكن أن توجه كطاقات للخير متى سلمت فى يد الله ، وكطاقات للشر متى نزعت عنا نعمته ... لهذا يقول القديس اغسطينوس ان المغالين جداً فى الشر متى عرفوا الرب واختبروه دخلوا فى العبادة إلى أعماق أكثر من غيرهم من أجل طاقاتهم القوية الحية .

إذن الله لايجربنا بالشرور ، إنما يسمح لنا بالتجارب الخارجية لامتحاننا .

يقول البابا ديوناسيوس الاسكندرى [11] (ربما تقول : ما هو الفرق بين

(١٠) ٢ أى ٣٤ : ٢٤ ، أر ٦ : ٩ ، ١٩ : ١١ ، ٤٩ : ٣٧) .

(11) Works of Dionysis : Exegetical Fragments -

كون الإنسان يجرب وبين سقوطه فى تجربة أو دخوله فيها ؟

حسنا ! متى إنهزم إنسان بالشر ، ساقطاً بسبب عدم جهاده دون أن يصونه الله بدرعه، نقول أنه دخل فى تجربة وسقط فيها وصار أسيراً تحتها . أما من يثبت ويحتمل فهذا الإنسان يكون مجرباً وليس داخلا فى تجربة أو ساقطاً فيها .

هكذا إفتاد الروح السيد المسيح لا ليدخله فى تجـــربة بل ليجربه الشيطان (مت ٤ : ١) .

ابراهيم أيضاً لم يدخله الله فى تجربة بل جربه . . .

والرب جرب (إمتحن) تلاميذه . . .

هكذا عندما يجربنا الشرير يجذبنا إلى الشر لانه يُجرب بالشرور ، . أما الله فعندما يجربنا (يمتحننا) يسمح لنا بالتجارب بكونه غير مجرب بالشرور .

الشيطان يجذبنا بالقوة بقصد إهلاكنا ، والله يقودنا بيده ويدربنا لأجل خلاصنا) .

إذن الشر ليس مصدره الله . . . فلماذا نسقط فى الشر ؟

« لكن كل واحد يجرب اذا انجذب وانخدع من شهوته[١١] . ثم الشـــهوة اذا حبلت تلد خطيـــة والخطية اذا كملت تنتج موتا[١٥] » .

١ – الانجذاب والانخداع : يقوم عدو الخير بإثارتنا بمثيرات داخلية وخارجية كثيرة بلا حصر : من لذات جسدية وملذات العالم وكراماته وأحزانه . . .

هذه المثيرات مهما اشتدت ليست لها قوة الإلزام بل الانخداع لكى ما يخرج الإنسان من حصانة الله ويفلت من بين يديه منجذباً ومنخدعا وجارياً وراء الخطية.

يؤكد ربنا يسوع المسيح قائلا « خراف تسمع صوتى . . ولا يخطفها أحد من يد ١٠ : ٢٧ ، أى لا توجد قوة مهما تكن أن تخطف نفس المؤمن الذى يسمع لصوت الرب ويتبعه ، أما إن إمتنع المؤمن عن الاستماع لصـــوت الرب وقبل باختياره الإنصات إلى صوت آخر . . . فالحال ينخدع وينجذب من دائرة الرب إلى دائرة الخطية .

من يقبل إلى الرب لا يخرجه خارجاً (يو ٦ : ٣٧) ، إذ هو الباب إن دخل به أحد يخلص ويجد مرعى (يو ١٠ : ٩) ، ولكن إن شاء الخروج عن الرب فلا يلزمه الرب بالبقاء ، عندئذ ينطلق من عناية الله تجاه خداعات العدو .

ب – **الحبل** : يشبه الرسول الشهوات بامرأة زانية تجتذب إليها الإنسان وتخدعه ... وإذ يقبلها ويتجاوب معها يتحد بها فتحبل . « ثم الشهوة إذا حبلت ... » أى تكون كالجنين الذى ينمو يوماً فيوم ... الذى هو الخطية .

ج – **الولادة** : وإذ يكتمل نمو الجنين تلد إبنا هو « الموت » ، لأن الخطية تحمل فى طياتها جرثومة الموت .

هذه المراحل الثلاث تحدث عنها كثير من الآباء ... لذلك يطالبوننا أن نصارع الخطية فى طورها الاول وهى تحاول أن تخدع حيث لا سلطان لها علينا ويمكننا برشم علامة الصليب وبصرخة خفية داخلية تجاه الرب أن نتخلص منها .

أما إذ تركنا الخطية لتتعدى الطور الاول إلى الثانى حيث نقبلها ونرضيها... فان إرضاءنا لها – مهما كان اغراؤها – هو بإرادتنا ونحن مسئولون عنه .

هذا ما يؤكده **القديس مرقس الناسك** [١٢] مؤكداً أنه لا يمكن أن تسيطر علينا خطية فجأة ، لكن إما أننا سبق ان قبلناها بإرادتنا ، أو قبلنا خطية مشابهة لها أو باعثة لها . فمثلا لا تسيطر أفكار شهوة على إنسان عفواً اللهم إلا إذا كان قد سبق أن ترك لأفكاره العنان بإرادته يتلذذ بها ، أو سقط بإرادته فى الكبرياء والعجرفة وحب الظهور الذى يولد السقوط ، أو سقط فى الغضب بإرادته حيث تنزع عنه نعمة الله ، أو أنخم معدته وتلذذ بالنهم ...

إذن يليق بنا أن ندرك مراحل الخطية الثلاث (الانجذاب لها ، التلذذ بها ، تنفيذها) حتى نحاربها بالرب يسوع منذ بدايتها ... وهذا أكثر أماناً لنا .

وقد تحدث **القديس اغسطينوس** [١٣] عن هذه المراحل الثلاث فقال :

---

(١٢) الفيلوكاليا .

(١٣) اغسطينوس فى شرح الموعظة على الجبل طبعة ٦٨ ص ٨٨ – ٩١ .

(الخطية تكمل على ثلاث مراحل :

(ا) إثارتها (الانجذاب لها والانخداع بها) [١٤] .

(ب) التلذذ بها (الحبل بها) .

(جـ) ارضاؤها (الولادة).

فالاثارة تحدث عن طريق الذاكرة أو الحواس كالنظر أو السمع أو الشم أو التذوق أو اللمس .

فإن نتج عن هذا لذة لزم ضبطها ، فلو كنا صائمين فبرؤيتنا للطعام تثور شهوة التذوق ، هذه الشهوة تنتج لذة .

فعلينا **الا نرضيها** بل نضبطها إن كان لعقلنا ـ الذى يمتعنا من ارضـــائها ـ السيادة . أما إذا أرضيناها فستكون الخطية قد كملت فى القلب فيعلم بها الله ولو لم يعلم بها البشر .

إذن هذه هى خطوات الخطية :

تتسلل الإثارة بواسطة الحواس الجسدانية كما تسللت الحية فى إثارة حواء ، لأنه حيث تسربت الأفكار والتصورات الخاطئة إلى نفوسنا تكون هذه نابعة من الخارج من الحواس الجسدية . وإن أدركت الروح أى إحساس خفى عن غير طريق هذه الحواس الجسدية ، كان هذا الإحساس مؤقتاً وزائلا ، فتتسلل هذه التصورات إلى الفكر فى دهاء الحية . . .

وكما أن للخطية مراحل ثلاث أى الإثارة واللذة والارضاء ، هكذا تنقسم الخطية إلى ثلاثة أنواع :

(ا) خطية فى القلب (لم تنفذ عملياً) .

(ب) خطية بالعمل .

(جـ) خطية كعادة .

---

(١٤) الأقوال بين القوسين هنا وما بعد ذلك ليست من أقوال القديس .

وهذه الأصناف الثلاثة تشبه ثلاثة أموات :

(ا) الميت الأول كما لو كان فى المنزل ولم يحمل بعد ، وذلك عند إرضاء الشهوة فى القلب (وهى صبية صغيرة) .

(ب) الميت الثانى كما لو كان قد حمل خارج المنزل ، وذلك عندما يبلغ الرضا حد التنفيذ (وهو شاب أكبر من الصبية) .

(ج) الميت الثالث كما لو كان فى القبر قد أنتن ، وذلك عندما تكون الخطية قد بلغت حد العادة (وهو رجل أكبر من الشاب) .

ونرى فى الإنجيل أن الرب أقام هذه الأنواع الثلاثة من الأموات مستخدماً عبارات مختلفة عند إقامتهم . ففى الحالة الأولى قال « طليثا قومى » مر ٥ : ٢٣ . وفى الثانية « أيها الشاب لك أقول قم » لو ٧ : ١٤ . وأما فى الثالثة فقد إنزعج بالروح وبكى وبعد ذلك صرخ بصوت عظيم «لعازر هلم خارجاً» يو ١١ : ٣٣-٤٤ .

† † †

٥- الله أبونا لايهب إلا الصلاح

« لا تضلوا يا اخوتى الأحباء. كل عطية صالحة وكل موهبة تامة هى من فوق نازلة من عند ابى الانوار[17] » .

فى كل مرة نصلى نقول « فلنشكر صانع الخيرات ... » لأننا لانعرف مصدراً للخيرات غير الله .

وهنا يحذرنا الرسول ألا نضل ، فنظن انه يمكن أن يصدر عن الله غير الخير والصلاح ... أو نحسب أننا نقدر أن ننال صلاحاً بطريق آخر غير الله .

نسب الشر إلى الله ضلال ، لأن الله « أب الأنوار » .

وطلب الصلاح من غير الله ضلال ، لأنه هو « أب » لايقبل أن يلتجىء أولاده إلى أب غيره !

إذن كل عطية صالحة أى لخيرنا ، وكل موهبة أى تقدم كهبة مجانية ، تامة أى

ليس فيها عيب أو نقصان هي من فرق نازلة . . . أي في حالة فيض مستمر من السماء تجاه البشر ، من الآب نحو أولاده .

وكما يقول الاب شيريمون[١٥] (أن الله يبدأ معنا ما هو صالح ، ويستمر معنا فيه ، ويكمله معنا . وذلك كقول الرسول « والذي يقدم بذاراً للزارع وخبزاً للأكل سيقدم ويكثر بذاركم وينمي غلات بركم » ٢ كو ٩ : ١٠ .

هذا كله من أجلنا نحن لكي بانضباع نتبع يوماً فيوم نعمة الله التي تجذبنا . أما إذا قاومنا نعمته برقبة غليظة وآذان غير مختونة (أع ٧ : ٥١) ، فإننا نستحق كلمات النبي أرميا القائل «هل يسقطون ولا يقومون ؟! أو يرتد أحد ولا يرجع ؟! فلماذا إرتد هذا الشعب في أورشليم إرتداداً دائماً تمسكوا بالمكر . أبوا أن يرجعوا ؟! » (ار ٨ : ٤ ، ٥) .

ويؤكد الرسول أنها من عند « **أبي الانوار . الذي ليس عنده تغيير ولا ظل دوران** » .

وكما دُعي إبليس أنه أب للأشرار (يو ٨ : ٤٤) ، يُدعى الله «أب الأنوار» أي القديسين النورانيين أو الملائكة .

انه النور الحقيقي وواهب النور ، وهو ليس كالشمس المنظورة التي تعكس نورها على الكواكب الأخرى ، لكنها تتغير ويأتي اليوم الذي فيه تزول ، إنما هو شمس البر الذي ليس عنده تغيير ولا ظل دوران .

أب ينير أولاده ، وأبوته المنيرة ثابتـــة لا تتناقص ، يجذب أولاده إليه ليستنيروا منه . . . كيف يتم ذلك ؟

خلال أشعة محبته الملتهبة في عطاياه الزمنية والروحية يجذب أنظارنا وينير عقولنا فنراه ونعشقه وعندئذ لا ننشغل حتى بعطاياه الصالحة ومواهبه التامة إنما نقول له مع القديس اغسطينوس[١٦] (وقبل هذه الأعمـــال الجسدية أعمالك

(١٥) مناظرات يوحنا كاسيان ص ٣١٥ .

(١٦) The Confessions 3 : 6

الروحية التى هى سماوية ومثالاتنا هكذا ... لكننى جمت إليك ، وعطشت لك .. لك أنت بذاتك أيها الحق ، الذى ليس عنده تغيير ولا ظل دوران ») .

إن عطية واحدة خلال كل عطاياه التى يلاحصر ومواهبه التامة ، هذه العطية يلزم ألا تفارق ذهننا ... عطية الميلاد الجديد الذى نلناه بالمعمودية ... فصرنا له أولاد وهو أب لنا ، إذ :

« شاء فولدنا بكلمة الحق لنكون باكورة من خلائقه [١٨] » .

يا لها أشرف عناية اننا بالرب يسوع ، كلمة الحق ، الذى مات عنا بالجسد وقام وهبنا بروحه القدوس أن نولد لله والكنيسة ولادة جديدة روحية بالمعمودية .

بهذه الولادة يجدر بنا أن نرتبط بالرب يسوع « البكر » ، فنصير نحن أيضا « باكورة من خلائقه » .

وكما كان الله يلزم عابديه أن يقدموا له البكور وأوائل الثمار مخصصة له ، معتبراً انه بذلك قدموا كل الثمار له ... هكذا يقبلنا الله كباكورة من خلائقه ، محفوظين ومخصصين لله (عب ١٢ : ١٣) ، وبهذا نرتبط بكنيسة الأبكار مكتوبين فى السموات .

هكذا انتقل بنا يعقوب الرسول من الحديث عن التجارب الخارجية كمصدر فرح وتطويب للصابرين إلى الجهاد ضد التجارب الداخلية أى التحفظ من الخطية ثم عناية الله بنا وتقديم كل إمكانية لنا معلناً حبه فينا وهبنا إياه أن نكون أولاد له ... لكن ما موقفنا نحن كأولاد لله ... هذا يحدثنا عنه الرسول بطريقة عملية.

† † †

٦- موقفنا كأولاد لله

أولا : الاسراع فى الاستماع

« اذا يا اخوتى الأحباء . ليكن كل انسان مسرعا فى الاستماع [١٩] » .

يترجم البعض عبارة « إذاً يا اخوتى الأحباء » بـ « أنتم تعرفون هذا ، ولكن يا إخوتى الأحباء ... » .

كأن ما قد سبق أن تحدث به هو أمر يعرفه المؤمنون، كتبه الرسول من أجل التذكرة فقط . .. وإنما يطلب أن ننتبه إلى واجبنا العملي والتزامنا كأولاد لله.

وأول واجب نلتزم به هو أننا إذ ولدنا بكلمة الحق ، بالمعمودية ، يليق بنا ألا نفارق « كلمة الحق » بل نسرع دوماً للجلوس عند أقدام الرب يسوع « كلمة الحق » مع مريم أخت لعازر منصتين إلى حديثه العذب المملوء حباً.

هذا هو واجبنا . .. وهذا أيضاً هو حقنا . .. وهذا هو نصيبنا الذي لن ينزع منا إلى الأبد ، أن نجلس متضعين عند أقدام الرب يناجينا ونناجيه . ..

حقاً ما أصعب على الإنسان في وسط دوامة هذه الحياة ، أن يهرب ! يهرب من أجل نفسه التي هي أغلى ما عنده ، لكي يخلع عنه كل إهتمام وإضطراب منصتاً بكل جوارحه لعريس نفسه . .. هذا الذي يبعث صوته في داخل النفس سروراً وفرحاً وتبتهج عظام الإنسان لكن في إتضاع وإنسحاق وليس في كبرياء وعجرفة.

يقول **القديس اغسطينوس**[17] (كما قال رجل الله « إسمعني سروراً وفرحاً فتبتهج عظام سحقتها » مز ٥١ : ٨.

هذا ما أقوله لأنه عند سماعنا للحق يصير فينا إتضاعاً .

ويقول آخر « وأما صديق العريس الذي يقف ويسمعه فيفرح فرحاً من أجل صوت العريس » يو ٣ : ٢٩ .

إذن لنفرح بالاستماع إلى حديث الحق الذي فيك مع أنك تسمع صوتاً يقرأ من الخارج ، كأن تنصت إلى من يقرأ أو يشرح أو يكرز أو يدافع أو يوصي أو يعزي أو يرشد أو حتى يترنم أو يشترك في التسبيح على آلة . ..

إن من يسمع بذهن مستعد ملوء ورعاً فلا يجد مجالاً لتكريم ذاته أمام الغير، وبغير كبرياء يفرح في إتضاع ويبتهج من أجل كلمات الحق التي للسيد .

لهذا تبتهج الكنيسة المقدسة بالذين يسمعون باستعداد وفي إتضاع ويقتنون

(17) On the Gospel of St John 57 : 3 .

حياة هادئة فى دراسة حلوة كاملة ، فتقول « أنا نائمة وقلبى مستيقظ » ... أى اننى جالسة فى إتضاع أنصت مستمعة ... إننى أستريح من عناء العمل المؤلم وبتحول ذهنى تجاه الإلهيات) .

ثانيا : مبعثنا فى التكلم

إذ يسرع الإنسان للانصات إلى كلمة الحق يتشرب روح أبيه الذى لا يشهد للحق بكثرة الكلام بل بالعمل ...

فنور الله واضح لا يستطيع أحد أن يخفيه مهما حاول إنكاره ، ونحن إذ نستضيء بنوره نشهد للحق بالعمل أكثر منه بالكلام « فليضىء نوركم هكذا قدام الناس لكى يروا أعمالكم الحسنة ويمجدوا أباكم الذى فى السموات » مت ٥ .

حسن الإنسان أن يشهد للحق ... لكن كثرة الكلام والتسرع فيه يكشفان عن نفس عاثرة ضعيفة تخفى ضعفها وراء المظهر ، من أجل هذا يوصى الحكيم قائلا « أرأيت إنساناً عجولاً فى كلامه ؟! الرجاء بالجاهل أكثر من الرجاء به » أم ٢٩ : ٢٠ .

يقول **القديس ارسانيوس معلم اولاد الملوك** [١٨] (كثيراً ما تكلمت وندمت وأما عن الصمت فما ندمت قط) .

وكشف لنا **مار اسحق** [١٩] مفهوم الصمت أنه ليس مجرد إمتناع عن الكلام بل هو حديث سرى مع الرب يسوع ، لذلك نصح الراغب فى الصمت أن يقتنى ثلاث خصال : خوف الله ، صلاة دائمة ، عدم انشغال القلب بأى أمر .

كما يقول أيضاً (من يريد أن يلازم السكوت من غير أن يقطع علل الآلام فهو أعمى) .

إذن كما يقول الكتاب « للسكوت وقت وللتكلم وقت » جا ٣ : ٧ فهناك ٣ أنواع للسكوت و ٣ أنواع للكلام :

---

(١٨) بستان الرهبان .
(١٩) المرجع السابق .

١ ـ الصمت المقدس وهو أن يصمت الفم ليتكلم القلب مع الله .

٢ ـ « الباطل « « « دون أن ينشغل القلب بالله .

٣ ـ « الشرير « « « وينشغل الداخل بالشر .

١ ـ الكلام المقدس : وهو الحديث الذى يقول عنه **القديس باسيليوس الكبير**[٢٠] (يظهر رائحة بخور تدبيرنا الداخلى المملوء حكمة). أى يتكلم الإنسان فيما هو لبنيان نفسه وبنيان الآخرين .

٢ ـ الكلام الباطل : وهو الحديث الذى ليس للبنيان وبلا معنى ، وهذا الحديث نعطى عنه حساباً (مت ١٢ : ٣٦) .

٣ ـ الكلام الشرير : الذى يهدم النفس ويهدم الآخرين .

من أجل هذا يقول **الاب بيمين**[٢١] (ان الصمت من أجل الله جيد كما أن الكلام من أجل الله جيد) .

ثالثا : « ميطنا فى الغضب . لان غضب الانسان لا يصنع بر الله »[٢٢] .

دُعى الله بطويل الأناة وبطىء الغضب ، لهذا يجدر بأولاده أن يتشبهوا بأبيهم فلا يطلبوا الانتقام ولا ينفعلوا ... بل فى طول أناة يترفقوا بالجميع .

فغضب الإنسان لا يصنع بر الله ، وكما يقول **القديس اغسطينوس** أن الإنسان مهما إرتكب من خطية يستطيع فى نفس اللحظة أن يقف نادماً ويشعر بمحبة الله طويل الأناة ، لكن فى لحظات الغضب لا يقدر الإنسان أن يقف للصلاة . بهذا يحرم نفسه من بر الله .

ويقول أيضاً[٢٣] (لا تظنوا أن الغضب أمر يستهان به ، إذ يقول النبى « تعكرت (ذبلت) من الغضب عيناى » مز ٦ : ٧ . وبالتأكيد لا يقدر متوعك العينين أن يعاين الشمس ، وإن حاول رؤيتها تؤذيه ولا تبهجه) .

---

(٢٠) القديس باسيليوس الكبير لمبتدئ الرهبان ص ٥٥ .

(٢١) بستان الرهبان .

(٢٢) الحب الأخوى (عدم الغضب) ص ٣١٤ .

ويوضح لنا يوحنا كاسيان[٢٣] خطورة الغضب فيقول :

(يجب أن يستأصل سم الغضب المميت من أعماق نفوسنا .

فطالما بقى فى قلوبنا وأعمى بظلمته المؤذية عين الروح (القلب) لا نستطيع الحصول على التمييز والحكم السليم ، ولا نستطيع أن ننال النظرة الداخلية الصادقة أو المشورة الكاملة ، ولا أن نكون شركاء للحياة أو نحتفظ بالبر ، أو حتى يكون لنا المقدرة على النور الروحى الحقيقى « تمكرت من الغضب عيناى » مز ٦ : ٧ .

ولا نستطيع أن نصير شركاء للحكمة ولو وُجد حكم جماعى بأننا حكماء ، لأن « الغضب يستقر فى حضن الجهلاء » جا ٧ : ١٠ .

ولا نستطيع أن ننال الحياة غير المائتة ، « لأن الغضب يهلك حتى الحكيم » أم ١٥ : ١ .

ولا نقدر أن نحصل على القوة الضابطة للبر حتى لو ظن البشر فينا أننا كاملون وقديسون ، لأن « غضب الإنسان لا يصنع بر الله » .

كما لا نستطيع نوال الوقار والكرامة التى تُعطى حتى فى العاليات ، ولو ظنوا بنا أننا نبلاء وذوو شرف ، لأن « الرجل الغضوب يحتقر » أم ١١ : ٢٥ .

ولا يمكن أن تكون لنا مشورة صالحة ... « لأن السريع الغضب لا يعمل بالحق » أم ١٤ : ١٧ .

ولا نستطيع التحرر من أى إضطرابات خطيرة أو نكون بلا خطية ، ولو لم يسبب لنا أحد إضطراباً ... « لأن الرجل الغضوب يهيج الخصام ، والسخوط كثير المعاصى » أم ٢٩ : ٢٢ [٢٤] .

رابعا : مقتلها بذار الشر غارسا بذار كلمة الله .

« لذلك اطرحوا كل نجاسة وكثرة شر فاقبلوا بوداعة الكلمة المغروسة القادرة أن تخلص نفوسكم[٢١] » .

---

(٢٣) المرجع السابق ص ٣١٥ .

(٢٤) للاستزادة من أقوال الآباء عن « الغضب » راجع الحب الأخوى ص ٣٠٩ - ٣٩٠

إذ يحدث الرسول يعقوب الذين ولدوا بكلمة الحق يوجه أنظارهم إلى « كلمة الحق » القادرة أن تأتى فيهم بثمر كثير .

ولكى تمتلىء حياتهم بكلمة الحق ويتجاوبوا معها يلزم أن تتم فى داخل قلوبهم عمليتان متلازمتان بل هما عملية واحدة لها جانبان ، وهى عملية طرح النجاسة وبذر كلمة الله . فبالولادة الثانية صرنا أبنـــاء الله ويسر الميرون حل الروح القدس فينا ...وصار لنا بالروح القدس أن نفرغ من قلبنا كل ماهو ليس حق (النجاسة) لنملك فينا ما هو حق (كلمة الله) .

وكما جاء فى سفر التكوين « قال الله لتجتمع المياة .. ولتظهر اليابســة ... وقال الله لتنبت الأرض عشباً وبقلاً ... وشجراً ذا ثمر يعمل ثمـــراً كجنسه » تك ١ : ٩ - ١٢ . هكذا بكلمة الله المتجســد قال قولاً عليـــاً على الصليب ، حديث الحب الإلهى الباذل من أجل البشرية ، صار للمؤمن أن يخرج من المعمودية كالأرض التى متى سقطت فيها كلمة الله تأتى بثمر كثير .

من أجل هـذا توصى الكنيسة الإشبين[٢٥] قائلة « إزرعوا فيهم الخصال الجميلة . إزرعوا فيهم الطاعة والمحبة والطهارة . إزرعوا فيهم الرحمة والصدقة والعدل . إزرعوا فيهم التقوى والصبر والصلاح ... » .

إذن لنطرح عنا كل نجاسة ، وربما قصد بها هنا الغضب السابق ذكره لأنه متى وجدت بذاره تأتى بثمر كثير « وكثرة شر » .

ولا نقف عند طرح كل روح الغضب بل لنقبل فى وداعة كلمة الله المغروسة القادرة . هذه الكلمة هى البذار التى تأتى بثمر كثير .

ونلاحظ أن الرسول يحدث أناساً مؤمنين وممعدين ومع ذلك يقول « قادرة أن تخلص نفوسكم » ولم يقل « خلصت نفوسكم » ، لأن الخلاص أمر مستمر يعيش فيه المؤمن كل أيام غربته ، وليس أمراً حدث وانتهى .

---

(٢٥) المعنى المكلف برعاية المعمد فى الإيمان المستقيم والحياة المسيحية .

وكأن الرسول ينصحنا أن نخضع بروح الوداعة ، لا العجرفة ، لكلمة الله ، لأنه يلزمنا أن نثابر كل أيام غربتنا حتى لا نفقد الطريق.

هذا الخضوع يلزم أن يكون عملي وليس مجرد حفظ أو استماع نظري للكلمة إذ يقول الرسول « **ولكن كونوا عاملين بالكلمة لا سامعين فقط خادعين نفوسكم**[٢٢] ».

« لأنه ليس الذين يسمعون الناموس هم أبرار عند الله بل الذين يعملون بالناموس هم يبررون » رو ٢ : ١٣ . وقد شبه الرب السامعين غير العاملين برجل جاهل بنى بيته على الرمل فتهب الرياح وتسقط الأمطار فيسقط ويكون سقوطه عظيماً (مت ٧ : ٢٦ ، ٢٧) ، ويشبهه الرسول بالآتي :

« **لانه ان كان احد سامعا الكلمة وليس عاملا فذاك يشبه رجلا ناظر وجه خلقته في مرآة**[٢٣] . **فانه نظر ذاته ومضى وللوقت نسي ما هو**[٢٤] » .

إنه يشبه بالرجل الذي ينظر في مرآة ، ومن شيمة الرجال ألا يمعنوا النظر فيها ، أما ابناء الله فيليق بهم أن يمعنوا النظر في كلمة الله التي هي كالمرآة تكشف لهم ضعفهم ونقائصهم .

وهي أيضاً تذكرهم بخلقتهم الروحية الجديدة أي بميلادهم السماوي ، وهذا يبعث فيهم روح الجهاد ويجعلهم يتجاوبون مع الإمكانيات الإلهية الموهوبة لهم. لأنه متى أدرك الإنسان مركزه كابن لله . لا يكف عن الإلتصاق بأبيه ومناجاته متشبثاً بحقوقه للحياة المقدسة .

« **ولكن من اطلع على الناموس الكامل ناموس الحرية وثبت وصار ليس سامعا ناسيا بل عاملا بالكلمة فهذا يكون مغبوطا في عمله**[٢٥] » .

إذ يمعن النظر في الناموس ناموس الحرية أي الانجيل الذي حررنا بقوة الدم من سلطان الخطية ووهبنا حرية الابناء . فانه بهذا تصير كلمة الله بالنسبة له عملية ، فلا يكون سامعاً ناسياً بل ثابتة فيه ، في أعماق نفسه الداخلية .

هذا العمل يهب لنا عذوبة رغم صعوبة الوصية ، إذ نحمل نيرها لا بتذمر

كعبيد أذلاء ، ولا من أجل المنفعة كأجراء ، بل تفرح بها كأبناء يتقبلون وصية أبيهم ، لهذا يكون كل منا « مغبوطاً في عمله » .

بهذا يقول الإنسان لخالقه « نيرك هين وحملك خفيف » رغم ما يجاهد به ويثابر فيه ويتحمله ويتخلى عنه من أجل الرب !

خامسا : « ملجما لسانه »

« ان كان احد فيكم يظن انه دين وهو لايلجم لسانه بل يخدع قلبه فديانة هذا باطلة »[٢٦] .

القلب هو عرش الله الذى فيه يستريح .

ولا يقصد بالقلب العضو الجسدانى بل ينبوع الأفكار (مز ٣٣ : ١١) ، والعين الداخلية المدركة للأمور (أش ٦ : ١٠) وموضع الفرح الداخلى (نش ٣ : ١١) وجميع المشاعر والعواطف والحب ، كما يقصد به هدف الإنسان واتجاهاته وتصميماته (حز ١١ : ٢١) ...

فالديانة الحقيقية هى التى تنبع من الداخل ، من القلب ، إذ « مجد إبنة الملك من الداخل » ، والإنسان الصالح من كنز قلبه الصالح يخرج الصالحات (لو ٦ : ٤٥) ...

على هذا الأساس ظن البعض أنه لا حاجة لضبط لسانه بدعوى أن قلبه طيب وعبادته بالروح ... لكن الرب الديان يقول « من فضلة القلب يتكلم الفم » مت ١٢ : ٣٤ .

يقول **الشيخ الروحانى**[٢٦] (من يحذر بلسانه لن يسلب كنزه منه إلى الأبد . فم الساكت يترجم أسرار الله . ومن يتكلم بسرعة يبعد عنه خالقه) .

ويقول **الأب بيمين**[٢٧] (من يضبط فمه فإن أفكاره تموت ، كالجرة التى يوجد فيها حيات وعقارب ، سد فمها (فوهتها) فانها تموت) .

---

(٢٦) أى القديس يوحنا سابا : من بستان الرهبان .

(٢٧) المرجع السابق .

وسأل أخ شيخا [٢٨] : يا أبي انى أشتهي أن أحفظ قلبي .

فقال له الشيخ : كيف يمكنك أن تحفظ قلبك وفلك الذى هو باب القلب مفتوح سايب ؟

إذن من لايضبط لسانه يخدع قلبه . فبينما يظن أنه دين إلا أن ديانته باطلة .

سادسا : يرحم اخوته

« الديانة الطاهرة النقية عند الله الآب هي هذه افتقاد اليتامى والارامل فى ضيقتهم [٢٩] »

لم يقل الرسول « الديانة الطاهرة ... هي الإيمان » إنما كشف عن الجانب العملي ليس تجاهلا أو استهتاراً بالإيمان ، لكن تأكيداً للأعمال المرتبطة بالإيمان .

فإذ يقيم الآب نفسه أباً للإيتام وقاضياً للأرامل (مز ٦٨ : ٥) لهذا فان من كانت ديانته طاهرة يلزمه أن يمتثل بأبيه .

يقول القديس يوحنا ذهبي الفم [٢٩] (ما الحاجة إلى ذكر فضائل هذه الصناعة (الصدقة ومآثرها ؟! انها تعلمك كيف تصير شبيهاً بالله . وهذا رأس كل الخيرات) .

والجميل فى الكنيسة الأولى أنها اهتمت بالارامل ... إذ أعطت للأرامل اللواتي يتذرون أنفسهن للخدمة مكانة خاصة تلي مكانة العذارى مباشرة . حتى أن القديس يوحنا ذهبي الفم عندما أرسل إلى أرملة شابة يعزيها فى زوجها متأسفاً أنها قد صارت « أرملة » [٣٠] .

وقد اهتمت الكنيسة بتحويل طاقات هؤلاء الأرامل إلى العبادة أو الخدمة التي تتناسب معهن ، الأمر الذى جعل كثير من القديسين كتبوا بفيض عن « الترمل وشروطه وقوانينه ونظامهن [٣١] » .

---

(٢٨) المرجع السابق .

(٢٩) الحب الأخوى ص ١٤٦ (الافاضة راجع ص ٦٥ ـ ١٢٠) .

(٣٠) راجع كتيب رسالة ممزية إلى أرملة شابة للقديس ذهبي الفم .

(٣١) راجع كتاب «widowship» لأغسطينوس وكتاب « القديس باسيليوس» ص ٣٦٦ ـ ٣٧٠ .

سابعا : « وحفظ الانسان نفسه بلا دنس من العالم[١٧] » .

ونلاحظ أنه بدأ أولا بالترفق بالمتألمين أى اليتامى والأرامل ، لأنه بدون الرحمة بالآخرين كيف نستعين برحمة الله لكى تحفظنا من دنس العالم وشهواته ؟!

إذاً لنرحم فيما هو قليل فيرحمنا الله الكثير .

وإذ يحفظ الإنسان نفسه بلادنس لايعطى لإبليس أى حق للملكية فى داخله وبهذا تبقى النفس مقدسة للرب وحده .

† † †

بعدما تحدث الرسول عن موقفنا كأبناء لله عابدين بالحق ، بدأ يوجه النظر فى هذا الأصحاح إلى بعض الأخطاء فى « العبادة الزائفة » .

١ – المحاباة بين العابدين .	١ – ٣
أولا : تضاد الله المهتم بالفقراء .	٤ – ٥
ثانيا : اكثر الاغنياء يثيرون مشاكل .	٦ – ٧
ثالثا : تملق الاغنياء يكسر الوصية .	٨ – ١١
رابعا : احتقار الفقراء يفقدنا الرحمة .	١٢ – ١٣
٢ – الاتكال على الايمان بدون الاعمال .	١٤
أولا : مثالان لايمان ميت .	١٥ – ١٨
ثانيا : « « حى بالاعمال	٢٠ – ٢٤
ثالثا : ضرورة تلازم الايمان مع الاعمال	٢٥

† † †

١ – المحاباة بين العابدين

« يا اخوتى لايكن [٣٢] لكم ايمان ربنا يسوع المسيح رب المجد فى المحاباة [1] » .

يلقب الرسول ربنا يسوع المسيح بـ « رب المجد » لكى يرفع أنظار المؤمنين إلى المجد السماوى الحقيق فلا يحابون الناس على أساس غنى وكرامة ومجد زمنى بل يحيون الكل كإخوة لهم ميراث أبدى مرتبطون بإيمان الرب .

خلال هذه الإخوة يوجه لهم الحديث قائلا « يا إخوتى » مظهراً أنه ليس هناك تمييز ومحاباة بل الكل أعضاء لجسد واحد .

وكما يقول القديس اكليمنضس اسقف روما [٣٣] (فالعظيم لا وجود له بغير

(٣٢) يترجمها البعض فى صيغة استفهام « ألا يكون لكم إيمان ... » .

(٣٣) رسالة اكليمنضس أسقف روما طبعة ١٩٦٧ ص ٣٣ ، ٣٤ .

الصغير ولا الصغير بدون العظيم ، بل يرتبط بعضنا البعض لأجل نفع الجميع .

لنأخذ الجسد كمثال : فالرأس لايقدر أن يوجد بغير الرجلين ولا الرجلين بغير الرأس ، بل بالاولى أعضاء الجسد التى تظهر أضعف هى ضرورية ، ١ كو ١٢ : ٢١ ، ٢٢ . ونافعة للجسد كله . نعم ان الاعضاء كلها تعمل فى وفاق وترتبط مع بعضها فى طاعة كاملة لأجل سلامة الجسد كله .

باتباعنا هذا نحفظ جسدنا المسيحى أيضاً فى كماله . فيخضع كل منا لصاحبه حسب عطيته الخاصة . فيلزم على القوى أن يهتم بالضعيف ، والضعيف يحترم القوى ، والغنى يعول الفقير ، والفقير يشكر الله الذى وهبه من يعوله ، والحكيم لايظهر حكمته فى كلام بل فى أعمال صالحة ، والمتواضع لايباهى باتضاعه بل يترك الشهادة له من الغير ، والعفيف أيضاً لايفتخر عالماً أن ضبط نفسه هو عطية من آخر (الله) .

يلزمنا أن نحب الإخوة من القلب ، هؤلاء الذين خلقوا من نفس المادة التى خلقنا نحن منها . . .

ويتحدث القديس يوحنا ذهبى الفم [٣٤] عن كرامة الضعفاء والفقراء ومن نحسبهم كمن هم بلا كرامة قائلا : (العضو الأصغر يطغى على الأكبر بهاء . فالجفن البسيط هو جمال العين ، لذلك من يحارب أخاه (الاصغر) يحارب نفسه ، فالضرر لا يحيق بمن يحاربه بل يرتد عليه بضرر لايقل عما أصاب المضرور) .

وأيضاً (لايقل إنسان « العين جميلة » بل يقول « المرأة جميلة » ، فإن مُدحت العين إنما تُمدح بعد مدح الجسد كله . وهذا ما يحدث بالنسبة للكنيسة) .

وقد كشف الرسول عن علامة المحاباة وخطورتها قائلا :

« فانه ان دخل الى مجمعكم رجل بخواتم ذهب فى لباس بهى ودخل أيضا فقير بلباس وسخ ، فنظرتم الى اللابس اللباس البهى وقلتم له اجلس انت هنا حسنا وقلتم للفقير قف انت هناك او اجلس هنا تحت موطئ قدمى » .

(٣٤) الحب الأخوى ص ٤٢٣ .

كيف لا تكون هناك محاباة بين العابدين إن حدث هذا التمييز ؟

١ - تمييز الغنى قائلين له « اجلس أنت هنا حسناً » .

لم يقل الرسول « إن دخل إلى مجمعكم غنى » بل « إن دخل إلى مجمعكم رجل بخواتم ذهب فى لباس بهى » أى إنسان عليه علامات الغنى مع الكبرياء . إذ كان بعض الرجال الاغنياء يلبسون خواتم كثيرة ويهتمون بالباس البهى الفاخر لنوال الكرامة والمجد الوهمى.

وقد أوصى القديس اكليمنضس الاسكندرى أن يلبس المؤمن خاتماً فى الاصبع الصغير (المخنصر) عليه صورة سمكة إشارة إلى التكاثر والنمو إذ المؤمن يأتى بثمر كثير ، أو صورة حمامة إشارة إلى روح الوداعة التى يلزم أن يتحلى بها، أو صورة مرساة إشارة إلى الآمان الذى يحيا فيه ... هذا الخاتم لايلبسه المؤمن لأجل المباهاة أو الزينة أو علامة الغنى بل لكى يتعارف المسيحيون على بعضهم البعض فى وسط السجون فى وقت الاضطهاد فيعزى بعضهم بعضاً بكلمة الله .

ويكشف الرسول عن روح المحاباة ليس فقط فى تقديم الاغنياء فى أماكن خاصة فى أماكن العبادة بل يقول «ونظرتم إلى اللابس... » أى أعطيتم لهم أهمية.

ولايقل « دخل إلى كنيستكم » بل « إلى مجمعكم » وربما هذا التوبيخ إذ لايليق هذا التمييز بالكنيسة .

٢ - احتقار الفقير بأمره بالوقوف أو الجلوس عند أقدام الغنى .

يقول القديس امبروسيوس [٣٥] (ما هو النفع الذى يعود عليك بتكريمك (محاباتك) للغنى ؟ هل لأنه أكثر إستعداداً لإبقاء محبة الآخرين له ؟ فتقدم المعروف لمن تتوقع منهم أنهم سيوافونا عنه .

إنه يلزمنا أن نفكر بالأكثر فيما يخص الضعفاء والمحتاجين لأننا بسبب هؤلاء نترجى الجزاء من الرب يسوع ، الذى فى مثال وليمة العرس (لو ١٤: ١٢، ١٣)

(٣٥) الملب الرعوى .

قدم لنا صورة عامة للفضيلة. فقد طلب منا أن نقدم أعمالنا بالأكثر لمن ليس فى قدرتهم ردها لنا) .

يقول القديس يوحنا الدرجى [٣٦] (كما أن عدم التمييز ممدوح عند الأطباء ، كذلك مغبوط هو عدم وجود الآلام الناشئة عن التمييز بين الرعية عند الرؤساء).

وخطورة التمييز بين الأغنياء والفقراء هى :

أولا : تضاد الله المهتم بالفقراء

« فهل لا ترتابون فى الامر وتصيرون قضاة افكار شريرة ؟ اسمعوا يا اخوتى الاحباء. أما اختار الله فقراء هذا العالم اغنياء فى الايمان وورثة الملكوت الذى وعد به الذين يحبونه ؟ اما أنتم فاهنتم الفقير » .

وكأن الرسول يقول : هل يحتاج الأمر إلى تفسير أو توضيح ؟ ! أما تحكم عليكم ضمائركم فى داخلكم من جهة أفكاركم الشريرة هذه ؟!

يقول « اسمعوا يا اخوتى الاحباء » . اننا كإخوة مرتبطون بالرب فيلزمنا أن نقتدى به ... فإن كان هو يكرم الفقراء كيف نهينهم نحن ؟!

وكما يقول القديس امبروسيوس (ان كان ملكوت الله للمساكين فمن هو أغنى منهم ؟!).

ويقول القديس اغسطينوس (الجميع عند الله متساوون ، إنما تسمو منزلة كل واحد منهم حسب إيمانه وليس حسب أمواله) .

هكذا لا يميز الله بيننا حسب غنانا لأنه هو الغنى الواهب ، ولأن هذا الغنى لا يتبعنا فى الأبدية ... بل أعطى اهتماماً بالفقراء من أجل مذلتهم ، واعتبر كل إهانة تلحق بهم إنما هى موجهة ضده ، لهذا ينصحنا الكتاب المقدس قائلا « من قدم ذبيحة من مال المساكين فهو كمن يذبح الإبن أمام أبيه » سى ٣٤ : ٢٤ .

من أجل هذا تقف الكنيسة نصيرة للمساكين موبخة الأغنياء الظالمين ، حتى

(٣٦) المحب الرعوى .

قال القديس يوحنا ذهبي الفم (٣٧) :

(إن كثيرين يتهرونني قائلين : أنت دائماً تضيق على الاغنياء ، وهم بالتالي يضيقون على الفقراء .

حسناً ! انني أضيق على الاغنياء ، أو بالحرى ليس على الاغنياء بل على **الذين يسيئون استخدام الاموال . فانا لا اهاجم اشخاصهم بل جشعهم** . فالغنى شيء والجشع شيء آخر . وجود فائض شيء والطمع شيء آخر .

هل أنت غني ؟ أنا لا أمنعك من هذا .

لكن هل أنت جشع ؟ إنني أتوعدك ... إنني لن اسكت .

هل تهاجمني بسبب هذا ؟ إنني مستعد أن يسفك دمي، لكنني أريد أن أمنعك عن أن تخطيء . إنني لا أكن لك بغضة ،ولا أشن عليك حرباً ، إنما أريد أمراً واحداً هو نفع المستمعين إليّ .

ان الاغنياء هم اولادي ، والفقراء ايضا اولادي . ان رحما واحدا (المعمودية) تخص بهم بشدة . فالكل هم نسل لمن تمخض بهم . فان كنت تكيل الإهانات للفقير ، فإنني أتوعدك لان الفقير في هذه الحالة لا تحل به خسارة مثلك . لانه لا يسقط في الخطأ بل ما يصيبه من خسارة هو مجرد فقدانه المال أما أنت فكفنى فتلحق بك الخسارة في روحك) .

ثانيا : كثير من المشاكل يسببها الاغنياء

« أليس الاغنياء يتسلطون عليكم وهم يجرونكم الى المحاكم ؟! ٦ . اما هم يجدفون على الاسم الحسن الذي دعي به عليكم ؟! ٧ » .

كأن الرسول يقول : لماذا تحابون الاغنياء مع أن أغلب المشاكل تنبعث منهم ؟ ! .

تطلعوا فان الامم الوثنيين قبلوا الكلمة بايمان بفرح (أع ١٣ : ٤٨) بينما

(٣٧) عن مقالتين من أنروبياس وقد طبعتا في كتيب تحت اسم « الكنيسة تحبك » سنة ١٩٦٨ ص ٣٥ ، ٣٦ .

ثار اليهود الأغنياء مادياً وأغنياء فى الاعتداد بالذات وحب الكرامة الوهمية ضد الإيمان ، إذ يقول سفر الأعمال « ولكن اليهود حركوا النساء الشريفات ووجوه المدينة وأثاروا إضطهاداً على بولس وبرنابا وأخرجوهما من تخومهم » (١٣ : ٥٠) .

وظاهر من قول الرسول « يتسلطون عليكم، ان إحترامهم وتملقهم ومحاباتهم للأغنياء لايقوم على أساس الحب والاحترام بل التملق والمداهنة .

حسن أن يعطى الإنسان الكرامة لمن له الكرامة ،وأن يحب الجميع ويلاطف الكل ... لكن ليس بقصد المداهنة أو عن خوف ولا على حساب الآخرين ...

ثالثا : تملقهم بنا فى الناموس

« فان كنتم تكملون الناموس الملوكى حسب الكتاب تحب قريبك كنفسك فحسنا تفعلون . ولكن ان كنتم تحابون تفعلون خطية موبخين من الناموس كمتعدين » .

فلو أن تكريمهم نابع عن الحب لكان فى ذلك تكميل الناموس الملوكى، وكان عملهم هذا حسن جداً . لكن إذ الدافع هو المحاباة لذلك فقد انحرفوا وتعدوا الناموس وصار عملهم خطية .

وقد دعى القديس اكليمنضس الاسكندرى (٣٨) الذين لايعملون بالحب ولا يخدمون اخوتهم أنهم غير سالكين فى « الطريق الملوكى » الذى فيه يسلك الإنسان بلا خوف ولا ضجر بل فى حب وبفرح عن رضى .

ودعيت « المحبة » بالناموس الملوكى .

١ - لأنها شريعة ملكوت السموات وقانونها الذى يسود السماء إلى الأبد .

٢ - لأنها الطريق الذى يبلغ بنا إلى ملك الملوك ذاته ... بل هو نفسه « محبة » أى هو « الطريق » .

وقد أوضح لنا الرب أنه بالمحبة يتعلق الناموس والأنبياء. (مت ٢٢ : ٤٠)

(38) Strom 6 : 164 & 7 : 73 .

« لأن كل الناموس فى كلمة واحدة يكمل : تحب قريبك كنفسك » غلا ٥ : ١٤ .

يقول القديس اغسطينوس (يقول الرسول « المحبة هى تكميل الناموس . فإذا وجدنا المحبة ماذا نحتاج بعد ؟! وإذا خسرنا المحبة أى ربح يمكننا أن نجنيه؟!

لنتمسك بوصية الرب (يو ١٥ : ١٢) بأن نحب بعضنا بعضاً وبهذا نتمم كل الوصايا) .

إذاً فلنحرص على حفظ الوصية أى محبة القريب حتى لا نكسر الناموس .

« لان من حفظ كل الناموس وانما عثر فى واحدة فقد صار مجرما فى الكل[١٠] . لان الذى قال لا تزن قال ايضا لا تقتل . فان لم تزن ولكن قتلت فقد صرت متعديا الناموس[١٢] » .

يثير هذا النص تساؤلا : هل كل الخطايا متشابهة ، فمن يقتل عمداً كمن يكذب عن إكراه ؟!

لقد كتب القديس اغسطينوس[٣٩] رسالة إلى القديس جيروم يشرح له فيها هذا النص ، وقد أوضح فيها :

١ ـ ان الخطايا بالعمد مثل القتل عمداً ليس كالهفوات التى تصدر عن ضعف بشرى أو بغير إرادة أو عن جهل . غير أن جميع الخطايا عقابها الموت الأبدى ، وجميع الخطايا لا يمكن التطهير منها إلا بدم السيد المسيح .

٢ ـ يقصد الرسول بهذا النص أن خطية « عدم المحبة » والاستهانة بالفقير وعطاياتنا للأغنياء ... يجعلنا نكسر الناموس كله .

ويجدر بنا أن نلاحظ :

١ ـ ان قول الرسول « وإنما عثر فى واحدة » تعنى هنا الاستهانة بها وبالتالى مهما بدت الوصية قليلة الأهمية فان الاستهانة بها إنما هو استهانة بواضع الوصية .

يريد الرسول منا أن نجاهد ضد الثعالب الصغيرة ... لأن البشر غالباً ما يهتمون

(٣٩) رسالة رقم ١٦٧ .

بالخطايا التي يحسب نظرهم كبيرة لكن لا يهتمون بما يحسبونه خطية صغيرة . وبهذا يغلق الرسول باب الخداع الذى تفتحه لنا الخطية لنستهين بها .

٣ ـ هذا لا يعنى أن المؤمنين لا يخطئون قط ، وانهم ان اخطأوا ولو عن جهل أو بغير إرادة أو فى ضعف يفقدوا كل شيء ... إنما يوجه الرسول أنظارنا إلى الصليب . فمهما كانت الخطية يلزم التوبة عنها .

رابعا : احتقار الفقراء يفقدنا الرحمة

«هكذا تكلموا وهكذا افعلوا كعتيدين أن تحاكموا بناموس الحرية . لان الحكم بلا رحمة لمن لم يعمل رحمة . والرحمة تفتخر على الحكم[١٣] » .

« هكذا تكلموا وهكذا افعلوا » أى ليكن هو موضوع كرازتكم وموضوع سلوككم أن تصنعوا الرحمة مع اخوتكم فتنالوا رحمة يوم الدين .

فإذ تحاكم بناموس الحرية هكذا لن تتمتع بالتحرر الأبدى من الكثير مما لم نعتق اخوتنا عما هو قليل وزمنى ، ولا ننتفع بمراحم الله غير المحدودة ما لم نترفق باخوتنا فيما هو محدود .

وقد ضرب لنا الرب مثلا بالعبد الشرير الذى سامحه سيده بعشرة آلاف وزنة أما هو فلم يسامح أخاه فى مئة دينار بل أمسك به وأخذ بعنقه وألقاه فى السجن برحشية ... فخسر الأول ما قد سامحه به سيده (مت ١٨ : ٢٣ - ٣٤) .

يقول **القديس باسيليوس الكبير** [٤٠] (من أجل أنك لم ترحم الآخرين فلا يصنع بك رحمة . ولأنك اغلقت باب بيتك إزاء المساكين فلا يفتح لك الله باب ملكوته . وكما أنك أمسكت بالخبز عن البائسين حينما كانوا يطلبونه منك هكذا يمسك الله عنك الحياة الأبدية التى تطلبها .

إنكم ستحصدون ما زرعتم . فإن كنتم قد زرعتم المرارة فستحصدون المرارة . وإن زرعتم القساوة فلا تحصدون سوى الأتعاب القاسية والعذابات الهائلة . وإن كنتم قد هربتم من الرحمة تهرب الرحمة منكم . وإن رذلتم الفقراء يرذلكم ذاك الذى صار فقيراً حباً فيكم) .

(٤٠) الحب الأخوى ص ١٥٣ .

٢- الاتكال على الإيمان بدون الأعمال

إذ كان يتحدث عن المحاباة فى بيت الرب بدأ يتطرق إلى موضوع العبادة : هل الإيمان وحده قادر أن يخلص الإنسان ويبرره دون أن تكون هناك حاجة إلى الأعمال ؟

ويجدر بنا أن نراعى أن الرسول يعقوب كان يحدث أناساً مؤمنين إنحرف بعضهم فى سلوكهم تحت دعوى أن دم المسيح يطهر وكاف لخلاصهم دون حاجة إلى الجهاد والمثابرة لذلك وجه إليهم الحديث قائلا :

« ما المنفعة يا اخوتى ان قال احد ان له ايمانا ولكن ليس له اعمال ؟! هل يقدر الايمان ان يخلصه ؟! [٤١] » .

لقد سبق أن رأينا ان الاعمال التى يقصدها الرسول يعقوب غير ما قصده الرسول بولس [٤٢] .

فالإيمان وحده لايقدر أن يخلص ، لخانيا وسفيرا آمنا بالرب لكن بسبب انحرافهما عن السلوك فى النور هلكا (أع ٥ : ٩) .

ويذكر لنا الرب (مت ٧ : ٢١-٢٣) من بين الهالكين أناساً مؤمنين بل وأصحاب مواهب ومعجزات لكن إذ ليس لهم أعمال يقول لهم « إنى لا أعرفكم قط إذهبوا عنى يا فاعلى الإثم » .

وإذ تحدث **البابا اثناسيوس الرسولى** عن أهمية الأعمال قال بأن الرسول بولس دائماً يبدأ بالحديث عن الإيمان ثم يكمل الحديث عن الأعمال والوصايا العملية لأنه لا خلاص لنا بدون الإيمان ، ولا نفع لإيماننا بغير أعمال .

يقول **البابا** [٤٣] (يحق يلزمنا أن نبحث فى الفكر الرسولى ، لا فى بداية الرسائل بل وفيما جاء بنهايتها وفى صُلبها حيث يورد المعتقدات (الإيمان) والنصائح (الأعمال) ...

وقد استخدم موسى المؤمن - خادم الله - نفس الطريقة لأنه عندما أذاع

(٤١) راجع ص ٨ . (٤٢) رسائل القيامة للبابا أثناسيوس الرسولى ص ١٣٢ - ١٣٦ .

كلمات الشريعة الإلهية ، تكلم أولا عن الأمور الخاصة بمعرفة الله ... (تث ٦ : ٤) وبعدما أشار للشعب عن الله وعلمهم بمن يؤمنون به وأخبرهم عن الله الحقيقي ، عندئذ بدأ يقدم الشريعة الخاصة بالامور التي بها يكون الإنسان مرضياً لله قائلا « لا تزن . لا تسرق » مع بقية الوصايا .

هكذا بحسب التعليم الرسول « يجب أن الذي يأتي إلى الله يؤمن بأنه موجود وأنه يجازي الذين يطلبونه » عب ١١ : ٦ .

الآن فانه يُبحث عن الله عن طريق الأعمال الصالحة كقول النبي « اطلبوا الرب ما دام يوجد . إدعوه وهو قريب . ليترك الشرير طريقه ورجل الإثم أفكاره » أش ٥٥ : ٦ ، ٧ ...

أولا : مثالان لايمان ميت

« ان كان أخ واخت عريانين ومعتازين للقوت اليومي فقال لهما احدكم ايضا بسلام استدفئا واشبعا ولكن لم تعطوهما حاجات الجسد فما المنفعة ؟! هكذا الايمان ايضا ان لم يكن له اعمال ميت في ذاته [17] ».

إنه يشبه الإيمان بغير أعمال بالخنو الكلامي تجاه المتألمين دون محاولة للتنفيذ.

ونلاحظ أن الرسول يقول « إن كان أخ أو أخت » ليظهر مقدار المسئولية تجاههما ، كما يتحدث عن مقدار الضنك الذي بلغاه ، ثم يحمل الكنيسة المسئولية إذ يقول « لم تعطوهما » بصيغة الجمع مع أنه سبق فتحدث بصيغة المفرد « أحدكم » .

هكذا بدون الاعمال يكون الإيمان ميت ، لأنه ان كان لنا كل الإيمان حتى ننقل الجبال وليس لنا أعمال محبة فلا ننتفع شيئاً (١ كو ١٣) .

« لكن يقول قائل انت لك ايمان وانا لي اعمال . ارني ايمانك بدون اعمالك وانا اريك باعمالي ايماني [18] » .

يقول القديس يوحنا ذهبي الفم [43] (هل تعليمنا ضعيف ؟ إن كنت مسيحياً آمن بالمسيح . وإن كنت تؤمن به أرني إيمانك بأعمالك ؟) .

فالاعمال الحية برهان على وجود الإيمان وحيويته إذ « من ثمارهم تعرفونهم »

(43) Concerning the Statues 5 : 6 .

مت ٧ : ١٦ ، بل وبرهان على أننا سالكون حسب الولادة الجديدة إذ « بهذا أولاد الله ظاهرون وأولاد إبليس » ١ يو ٣ : ١٠ .

وهي برهان ليس أمام الناس بل ويجازينا الله حسبما إذ « يجازى كل واحد حسب عمله » مت ١٦ : ٢٧ .

لقد أعلن القص عن إيمانه بأعماله إذ شهد للرب واعترف له فى أحلك اللحظات التى تركه فيها الجميع (لو ٢٣ : ٤١) ... اعترف علناً بلا خجل من صليب الرب ، وشكر واحتمل الآلام بلا تذمر ... أليس هذا عمل ؟

« أنت تؤمن أن الله واحد . حسناً تفعل . والشياطين يؤمنون ويقشعرون »[١٩] .

هذا هو المثال الثانى للإيمان الميت ... الأول كالجثو الأجوف بلا تنفيذ والثانى تشبه بالشياطين ...

يعلق القديس اغسطينوس[٤٤] قائلا (إنك تمدح نفسك لأجل إيمانك هذا ! .. حسناً تفعل ! والشياطين يؤمنون ويقشعرون فهل يعاينون الله ؟

إن أنقياء القلب وحدهم هم الذين يعاينونه (مت ٥) ، فمن يقدر أن يقول بأن الشياطين نقية القلب ؟ ومع هذا فإنهم يؤمنون ويقشعرون ! لذلك ينبغى أن يكون هناك فارق بين إيماننا وإيمان الشياطين . فإيماننا ينقى القلب وأما إيمانهم فيجعلهم مذنبين .

هم يفعلون الشر ومع ذلك يقولون « نحن نعرفك من أنت إبن (قدوس) الله » لو ٤ : ٣٤ . وهو ما قاله أيضاً بطرس « أنت هو إبن الله » فمدحه الرب بينما وبخ الشياطين ...

فأى إيمان هو هذا الذى ينقى القلب إلا الذى عرّفه الرسول بأنه « الإيمان العامل بالمحبة ») .

ويقول أيضاً[٤٥] (هكذا أيضاً عندما تسمع « من آمن واعتمد خلص » مر ١٦ : ١٦ . فبالطبع لا نفهمها على أنه يقصد كل من آمن أيا كان إيمانه « فالشياطين يؤمنون ويقشعرون » ، كما لا نفهمها على جميع من اعتمدوا فسيمون

(٤٤) عظات على فصول منتخبة من العهد الجديد ٣ (٤٥) المرجع السابق عظة ٢١

رغم قبوله المعمودية إلا أنه لم يكن من السهل أن يخلص ...) .

ثانيا : مثالان لايمان حي بالأعمال

« ولكن هل تريد أن تعلم أيها الانسان الباطل ان الايمان بدون أعمال ميت؟! ألم يتبرر ابراهيم أبونا بالأعمال اذ قدم اسحق ابنه على المذبح ؟! فترى ان الايمان عمل من أعماله وبالأعمال أكمل الايمان . وتم الكتاب القائل فآمن ابراهيم بالله فحسب له براً ودعي خليل الله . ترون اذاً انه بالأعمال يتبرر الانسان لا بالايمان وحده[٢٤] » .

إذ يوجه الرسول حديثه إلى إنسان إيمانه باطل بسبب عدم الأعمال لذلك يدعوه « أيها الإنسان الباطل » وذلك مثل إيمانه الذى بلا عمل .

وقد ضرب لنا مثلا بأب الآباء الذى حُسب له إيمانه براً وقد دُعى صديق الله ، ولكن كيف نال هذا ؟ بالاعمال أكمل إيمانه .

والعجيب أن المثال الذى استخدمه الرسول بولس (رو ٤ : ٢ ، غلا ٣) لتأكيد أهمية الإيمان وحده دون أعمال الناموس هو نفسه المثال الذى استخدمه يعقوب الرسول لتأكيد الأعمال المكملة للإيمان. وقد أورد الرسول بولس نفس المثال فى الرسالة إلى العبرانيين مظهراً الإيمان والأعمال معاً قائلا « **بالايمان** ابراهيم **اطاع** » كما أكد يشوع بن سيراخ إيمان إبراهيم وأعماله (سى ٤٤ : ٢٠ ، ٢١).

« كذلك راحاب الزانية أيضا أما تبررت بالأعمال اذ قبلت الرسل وأخرجتهم فى طريق آخر[٢٥] » .

لقد شهد شعب أريحا بقوة الله (يش ٢:٩) لكن لم ينتفع أحداً بهذه الشهادة إلا راحاب لأنها ربطت إيمانها بالعمل فصار حياً [٤٦].

ثالثا : مثال لارتباط الايمان بالأعمال

« لأنه كما أن الجسد بدون روح ميت هكذا الأيمان بدون أعمال ميت[٢٦] » .

إلى هذه الدرجة يوضح الرسول أهمية الأعمال حتى نسبها كالروح بالنسبة للجسد .

---

(٤٦) قبل أن يشوع تزوجها وجاء من نسلها ٨ أنبياء .

يعلق **الأب يوحنا الدمشقي**[٤٧] قائلا (إذن يليق بنا أن نحفظ بكل قوتنا أنفسنا بثبات أتقياء من كل الأعمال الدنسة حتى لا نكون مثل الكلب العائد إلى قيئه ، مستعبدين أنفسنا للخطية . لأن الإيمان منفصل عن الأعمال ميت ، إذ الإيمان الحقيقي يثبت بالأعمال) .

وقد دعاهما **البابا أثناسيوس الرسولي**[٤٨] بأختين قائلا (فالإيمان والأعمال هما أختان مرتبطتان ببعضهما البعض .

فمن يؤمن بالرب يكون تقياً ، ومن يكون تقياً فهو مؤمن بالأكثر .

لهذا فمن هو شرير يكون بلا شك ضالا عن الإيمان ، ومن يترك التقوى يتخلى عن الإيمان الحقيقي .

وكما أنه عندما يساعد الأخ أخاه يصيران حصنين لبعضهما البعض ، هكذا أيضاً الإيمان والصلاح ، إذ ينميان متشابهين ممسكين ببعضهما البعض ، فمن يختبر أحدهما يتقوى بالآخر .

لذلك إذ يرغب الرسول في أن يتدرب التلميذ على الصلاح حتى النهاية وأن يجاهد من أجل الإيمان نصحه قائلا « جاهد جهاد الإيمان وتمسك بالحياة الأبدية » (١تي ٦ : ١٢) .

وقد استخدم **القديس جيروم**[٤٩] قول الرسول لتأكيد أنه ليس الإيمان فقط بل والبتولية أيضاً بغير إيمان ميتة إذ كتب إلى Desiderius يقول له (الإيمان بدون أعمال ميت ، وهكذا البتولية . فقد يكون لديك حججاً لترك زوجتك ، لكن لا يكون هذا على حساب هلاك الآخرين . انتظر حتى تقتدي هي بك ، فإذ يكون لك صبر فإنها يوماً ما ستصير أختاً لك) .

هكذا فإن المسيحية ليست فلسفة فكرية بل حياة في نور الرب يسوع .

† † †

(47) Exposition of the Orthodox faith 9 .

(٤٨) رسائل الفيامة ص ١٤٤ ـ ١٤٥ (٤٩) رسالة ٤٧ .

فى هذا الاصحاح يعالج أيضاً أحد الأخطاء التى دخلت عن فريسية اليهود الشريرة ألا وهى حب التعليم وكثرة الكلام بلاحكمة فتحدث عن :

١ – حب التعليم	١ ، ٢
٢ – خطورة اللسان	٢ – ٦
٣ – كيف نضبط اللسان ؟	٧ – ١٢
٤ – اللسان والحكمة الحقيقية	١٣ – ١٨

† † †

١– حب التعليم

« لا تكونوا معلمين كثيرين يا اخوتى عالمين اننا ناخذ دينونة اعظم [1] ».

الإيمان الميت الذى بلا أعمال يدفع بالإنسان إلى تغليف نفسه بمظهر التعليم ... يكثر الكلام والتوبيخ والانتهار بغير انسحاق داخلى .

لهذا تلزم الكنيسة جميع خدامها ورعاتها أن يكون لهم آباء اعتراف حتى لايقسوا بتيانهم الروحى فى وسط الخدمة والتعليم ... وينصح الرسول بولس تيموثاوس « لاحظ نفسك والتعليم » .

وتعلمنا الكنيسة فى القداس الإلهى أن يصلى الكاهن من أجل خطاياه قبل صلاته من أجل جهالات الشعب (٥٠) .

لهذا يخاف القديس اغسطينوس اسقف هيبو على نفسه فيقول (اننا نخدمكم فى عملنا كوكلاء لله ، لكننا نحن أيضاً نرد أن يخدمنا الله . إننا كما لو كنا رعاة بالنسبة لكم ، لكننا أيضاً فى رعاية الله ، إذ نحن خراف زملاء لكم. إننا معلمون

(٥٠) صلاة الاستعداد والصلاة بعد القسمة .

بالنسبة لكم ، لكننا بالنسبة لله فهو السيد الواحد ، ونحن زملاء لكم فى مدرسته.

إن أردنا أن يحرسنا الله الذى إتضع من أجلنا وتمجد لكى يحفظنا ، فلنتضع نحن أيضاً فلا يظن أحد أنه شىء ، فإنه ليس لأحد شىء صالح ما لم يكن قد أخذه من الله الذى وحده هو صالح) .

لكن يدفع الكبرياء البعض حتى أنهم ظنوا أنفسهم معلمين قد خلصوا ولهم غيرة تجاه خلاص الخطاة حاسبين فى أنفسهم أنهم صالحون لا يخطئون، لهذا أكمل الرسول قائلا :

« لاننا فى اشياء كثيرة نعثر جميعنا »

هذه البدعة لما جذورها فى عهد الرسل كما فى أيام اغسطينوس حيث كتب يوبخ البيلاجيين على هذه الادعاءات ، وكتب امبروسيوس يوبخ القائلين بهذا أيضاً .

إن تعاليم الكتاب المقدس وأقوال الآباء تؤكده شدة الحرب الروحية التى يواجهها الرعاة أكثر من غيرهم لأنه متى استقطهم الشيطان يشتت الرعية معهم .

ويقول القديس ذهبى الفم أنه حتى رئيس الاساقفة معرض للضعفات حتى يترفق بالضعفاء أولاده واخوته المؤمنين .

ويقول البابا بطرس الاسكندرى [٥١] (من هم أكثر سمواً من الرسل الذين هم أنفسهم لم يخلو من ضعفنا ؟ لان أحدهم يقول « لاننا فى أشياء كثيرة نعثر جميعنا ... لكن عندما نتوب عنها ننال غفراناً ، خاصة إن كانت بغير إرادة أو عن جهل أو ضعف) .

† † †

٢ – خطورة اللسان

« ان كان احد لا يعثر فى الكلام فذاك رجل كامل قادر ان يلجم كل الجسد ايضاً »

انتقل الرسول من الحديث عن حب التعلم دون التعلم إلى كثرة الكلام المدمر. فمن لا يلجم لسانه لا يستطيع أن يضبط الجسد كله أى حياته كلها ، أما من يلجمه فيكون رجلا كاملا أى فيه رجولة ونضوج روحى .

(51) The Genuine acts of Peter .

يقول القديس يوحنا الدرجي[٥٢] (إن الثرثرة هي عرش الغرور ، ومن هذا العرش تظهر محبة ابراز الذات والمباهاة والافتخار .

الثرثرة إشارة إلى الجهل ، وباب الاغتياب ، وموصل إلى الهزل والضحك ، وخادم الكذب والرياء .

هي دليل النوم وتشتيت الذاكرة، تزيل اليقظة وتبرد الحرارة وتفتر الصلاة).

وقد ضرب الرسول أمثلة على خطورة اللسان فقال :

(أ) « هوذا الخيل تضع اللجم في أفواهها لكي تطاوعنا فندير جسمها كله »

اللجم لا تدير الرأس فحسب بل الجسم كله ، أي السلوك كله .

إذاً فلنقل للرب « احفظ لفمي كمامة فيما الشر مقابلي » مز٣٩: ١ حتى لا يركض جسدنا كالخيل ويطرح بالنفس البشرية على الأرض محطمة .

(ب) « هوذا السفن أيضا وهي عظيمة بهذا المقدار وتسوقها رياح عاصفة تديرها بدفة صغيرة جدا الى حيثما شاء قصد المدير . هكذا اللسان ايضا هو عضو صغير ويفتخر متعظما » .

السفن مع ضخامتها يديرها الربان بدفة صغيرة ، متى أساء الربان استخدامها يفقد السفينة وكل ما عليها .

لقد أساء نبوخذ نصر الدفة أي لسانه ونطق متعظماً « هذه بابل العظيمة التي بنيتها ... بقوة اقتداري ولجلال مجدي » دا ٤ : ٣٠ فذاق المر سنيناً !

وهيرودس بسبب الدفة الصغيرة ضربه ملاك الرب وصار الدود يأكل منه، إذ صرخ الشعب قائلا « هذا صوت إله لا صوت إنسان » أع ١٢: ١٢ .

وبطرس من أجل كلمة بكى بمرارة .

(ج) هو ذا نار قليلة اي وقود تحرق . فاللسان نار عالم الاثم . هكذا جعل في اعضائنا اللسان الذي يدنس الجسم كله ويضرم دائرة السكون ويضرم من جهنم

شرارة بسيطة كفيلة بحرق غابة ضخمة ، لهذا « لا تدع فمك يجعل جسدك يخطيء » جا ٥ : ٦ . فاللسان هو الشرارة التي تضرم من جهنم لكي تضرم الجسم

(٥٢) سلم السماء أو درجات الفضائل ١١ : ٢ .

كله ، فيفقد الإنسان قدرته على الصلاة ويسبب انشقاقات وبثير الحقد ، ويخسر سلامه الداخلى والخارجى ... هذا كله بسبب اللسان متى ضرم من إبليس .

ويقال أن « جهنم » هنا تعنى مكان كان اليهود يلقون فيه الحيوانات الميتة والقاذورات لحرقها ، وكانت النيران لا تنطفىء ليلاً أو نهاراً .

† † †

٣ — كيف نضبط اللسان ؟

« لان كل طبع للوحوش والطيور والزحافات والبحريات يذلل وقد تذلل للطبع البشرى ٧ ، وأما اللسان فلا يستطيع احد ان يذلله » .

يقول **القديس غسطينوس** (٥٣) (لم يقل الرسول أن اللسان لا يوجد من يذلله بل لا يستطيع أحد (من البشر) أن يذلله ، حتى متى ألجم نعترف بأن ذلك بفضل حنان نعمة الله ومعونته) .

ويقول أيضاً (٥٤) (يستطيع الإنسان ترويض الوحوش المفترسة ، أما لسانه فلا يقدر أن يلجمه ! ...

يستطيع الإنسان تهذيب كل شىء ماعدا ذاته ، فما يقدر عليها !

يقدر على تهذيب كل ما يخاف منه أو يجدر أن يخافه ، أما ذاته التى لا يخافها فلا يقدر عليها !

إذن نلجأ إلى الله الذى يستطيع أن يلجمه . أنتم لا تقدرون على إقناع ألسنتكم لانكم بشر ... فتطلب من الله لكى يروضنا قائلين له « يارب ملجأ كنت لنا » مز ١٣٩ : ٧ !

هل يستطيع (الإنسان) صورة الله أن يروض الأسد المفترس ويعجز الله عن ترويض صورته ؟!

إن رجاءنا يكمن فى هذا المروض . لنخضع له ملتمسين رحمته ... لنحتمله حتى يروضنا نصير كاملين ، لأنه كثيراً ما يسمح لنا بتأديبات . فإن كنتم تستخدمون

---

(٥٣) De Nat. et Grat.

(٥٤) عظات على فصول مختلفة من العهد الجديد .

أسواطاً فى ترويض الحيوانات المفترسة ، أما يستخدم الله ذلك ليحولنا نحن وحوشه إلى أولاد له ؟!) .

يذكر مكروبياس أن بعضاً كانوا يروضون الغربان حتى كانت تنطق قائلة « السلام عليك يا قيصر الملك الغالب » ، وكانوا يقومون بتعليمها لقيصر وهو عائد منتصراً ... أفلا يقدر الله أن يروض ألسنتنا لتنطق بالتسبيح للرب الغالب ؟!

«هو شر لايضبط مملوء سما مميتا [٨] » .

عندما أراد الرسول أن يظهر شر الإنسان قال « الجميع زاغوا ... حنجرتهم قبر مفتوح . بألسنتهم قد مكروا . سم الأصلال تحت شفاههم وفمهم مملوء لعنة ومرارة » رو ٣ : ١٣ ، ١٤ . وكأن هذا يكفى للكشف عن مقدار ما بلغه الإنسان من زيغان وفساد .

وسر شره ليس فى طبعه لكن فى انحرافه عن عمله فتارة يبارك الله وأخرى ينحرف ليلعن الناس وكما يقول الرسول :

« به نبارك الله الآب وبه نلعن الناس الذين قد تكونوا على شبه الله [٩] . من الفم الواحد تخرج بركة ولعنة لا يصلح يا اخوتى أن تكون هذه الامور هكذا [١٠] . العل ينبوعا ينبع من نفس عين واحدة العذب والمر ؟! هل تقدر يا اخوتى تينة أن تصنع زيتونا او كرمة تينا ؟! ولا كذلك ينبوع يصنع ماء مالحا وعذبا [١٢] » .

اللسان الذى نبارك به الله فى الصلاة ، متى استخدمناه فى إساءة الناس الذين هم على شبه الله ، بهذا نوجه الإهانة إلى الله خالقهم ، ونستهين بحبه الذى أحب به العالم كله حتى بذل إبنه الوحيد عنا .

جيد للتينة أن تخرج تيناً والزيتونة زيتوناً ... ولكن لايليق بالتينة أن تخرج زيتوناً ... هكذا ليخرج اللسان حسبما يليق بعمل الانسان ووظيفته ، فلا يوبخ الابن أباه ولاينتهر الإنسان شيخاً ولا يداهن إنسان مخطئاً . **هكذا يلزم بنا ان تكون لنا الحكمة الحقيقية حتى نعرف كيف نتكلم ومتى نتكلم ؟**

† † †

٤ ـ اللسان والحكمة الحقيقية

« **من هو حكيم وعالم بينكم فليرِ اعماله بالتصرف الحسن فى وداعة الحكمة**[١٣] ». لا تظهر الحكمة الحقيقية بكثرة المعرفة الذهنية إنما تتكشف خلال :

١ ـ **العمل** « فليرِ أعماله بالتصرف الحسن » ، وكما يقول **الاب قسطور**[٥٥] (إن كنتم مشتاقين إلى الحصول على نور المعرفة الروحية ، معرفة ليست خاطئة لأجل كبرياء فارغ لتكونوا رجالا فارغين يجدر بكم أولا أن تلتهبوا بالشوق نحو هذا التطويب الذى نقرأ عنه ، طوبى للأنقيـــاء القلب لأنهم يعاينون الله ، مت ٥ : ٨ . وبهذا ينالون ما قاله الملاك لدانيال « والفاهمون يضيئون كضياء الجلد ، والذين ردوا كثيرين إلى البر كالكواكب إلى أبد الدهر » دا ١٢ : ٣... وهكذا يلزم المثابرة بالجهاد فى القراءة مع السعى بكل اشتياق لنوال المعرفة العملية الاختبارية أولا أى المعرفة الأخلاقية .

فعندما يبذلون جهوداً وأتعاباً كثيرة يستطيعون أن ينالوا المعرفة الروحية كمكافأة لهم من أجلها . وإذ يقتنون المعرفة لا من مجرد التأمل فى الشريعة بل كثمرة لتعبهم يتغنون قائلين « من وصاياك تفهمت » مز ١١٩ : ١٠٤) .

٢ ـ **الوداعة** يقول الرسول « فى وداعة الحكمة » إذ المعرفة الحكيمة هى المملوءة وداعة وإنضاعاً بلا كبرياء أو عجرفة .

وقد أوضح الرسول علامات الحكمة الزائفة فقال :

« **ولكن ان كان لكم غيرة مرة وتحزب فى قلوبكم فلا تفتخروا وتكذبوا على الحق**[١٤] . **ليست هذه الحكمة نازلة من فوق بل هى ارضية نفسانية شيطانية**[١٥] . **لانه حيث الغيرة والتحزب هناك التشويش وكل امر ردىء**[١٦] » .

حيث توجد الغيرة المرة والتحزب تكون الحكمة زائفة .

يجيد الإنسان أن تكون له غيرة (٢ كو ١١ : ٢) لكن لا تكون مرة أى شريرة[٥٦] . لأنها لا تكون مبنية على أساس الحق بل التعصب الأعمى والتهور ،

---

(٥٥) مناظرات كاسيان ٧/٣٥٦ راجع مناظرة « المعرفة الروحية » .

(٥٦) أع ٥ : ١٧ ، ١٣ : ٤٥ ، رو ١٣ : ١٣ ، غلا ٥ : ٢٠ .

وذلك كما فعل بطرس حين إستل السيف وقطع أذن عبد رئيس الكهنة .

هذه الغيرة تفقد الإنسان والدين حوله الحق، وتؤدى إلى تحزبات لأنه «حيث الغيرة والتحزب هنـــاك التشويش وكل أمر ردىء » أى تفقد الإنسان سلامه الداخلى (١ كو ١٤ : ٣٣) .

ويكفى لهذا الغيرة المرة والتحزب أن يكونا فى داخل القلب (ع ١٤) لكى تفسده ولا يكونوا بعد عارفين للحق بل « يكذبوا على الحق » .

اما مصادر الحكمة الزائفة فهى

ا - **ارضية** أى نابعة عن محبة العالم ، من يمتلكها لا يرتفع قلبه للسماويات بل يتعلق قلبه بالأرضيات . ومع أنه يغير على الحق لكن غيرته وكرازته يدعمها حب المادة أو حب الكرامة أو محبة مديح الناس ...

ب - **نفسانية** أى صادرة عن الذات البشرية ، فيها يتركز الإنسان خدمته حول الأنا فلا يريد أن تختفى ليظهر الرب ، بل يخفى الرب رغم كرازته بالرب ليظهر هو ، فيهتم ليس بما للروح بل بما للجسد ...

ج - **شيطانية** أى باعثها الخفى هو الشيطان ... فإذ سقط بالكبرياء لا يكف عن أن يبث الكبرياء فى البشر تحت ستار الحكمة واللياقة ولو كان خلال العبادة وتعليم الغير والبحث عن النفوس الضالة .

اما الحكمة الحقيقية فمصدرها ومميزاتها هى : —

« وأما الحكمة التى من فوق فهى اولا طاهرة ثم مسالمة مترفقة مذعنة مملوة رحمة واثمارا صالحة عديمة الريب والرياء[17] . وثمر البر يزرع فى السلام من الذين يفعلون السلام[18] » .

الحكمة السماوية مصدرها من فوق نازلة من عرش الله القدوس (حك ٩: ٤، ٩) يمنحها الله لأولاده المثابرين المتمسكين به . أما مميزاتها فهى :

ا - **طاهرة** أى نقية بلا غرض ملتو ، تهب صاحبها قلباً طاهراً وحيـــاة عفيفة . فكما أن الله طاهر (١ يو ٣ : ٣) وكلامه طاهر (مز ١٢: ٦) لهذا فمن

يقتنى حكمة الله لايطيق الدنس بل ينجذب لحياة الطهارة متشبها بالله .

ب - **مسالمة** أى مملوءة سلاماً ، إذ قيل عنها ان كل طرقها سلام (أم ٣:١١) فإذ بالحكمة ينجذب الإنسان تجاه الله ، يمتلىء قلبه سلاماً ويفيض أيضاً بسلام خارجى مع الغير حتى أنه لايطيق أن يرى شجاراً أو يسمع مجرد صوتاً عالياً بل ينفذ على الدوام هذه الوصية « فلنمكف إذاً على ما هو للسلام ومما هو للبنيان بعضنا لبعض » رو ١٤ : ٩ .

ج - **مترفقة** إذ يمتلىء القلب بالسلام تجاه الغير ويعمل لبنيان الآخرين فإنه يترفق بالكل مهما كانت الأخطاء والضعفات واضعاً نصب عينيه كيف يربح الجميع .

هذا الترفق ليس مظهراً خارجياً بل حياة داخلية سواء تكلم الإنسان أو صمت أدّب أو انتقد ... فى هذا كله يترفق ويتحنن لكن فى حزم .

د - **مذعنة** أى مطيعة ، وهذا هو عمل حكمة الله أن تهبنا خضوعاً له ولكلمته لكى لا نعمل بإرادتنا نحن بل بإرادة الله .

هـ - **مملوءة رحمة وأثماراً صالحة** وحيث توجد الطاعة لابد من الثمر الصالح، وكما تدفع الحكمة الوائقة إلى الكبرياء وبالتالى إلى « كل عمل ردىء » ع ١٦ ، هكذا يعلن الرسول هنا عن الحكمة الحقيقية أنها عملية إذ تدفع للطاعة والخضوع وبالتالى إلى الرحمة والأثمار الصالحة .

وكما أن الإيمان بدون أعمال ميت، كذلك الحكمة بغير ثمرة زائفة وقد وصفها سفر الحكمة أنها مستعدة لعمل الخير وحب البشرية (حك ١ : ٦) .

وقد أعلن ذلك حكمة الله المتجسد إذ « جال يصنع خيراً » أع ١٠: ٣٨ .

إذا فلنلبس الرب يسوع الحكمة الحقيقية لنأتى بثمر كثير (يو ٥ : ١٥) ونتحول به لصنع خيراً .

ز - **عديمة الريب** أى ثابتة غير متزعزعة ولا منقسمة . لها هدف واحد واضح ، تكشف الطريق السماوى بوضوح رغم ما فيه من آلام وأتعاب .

الحكمة الحقيقية تجعل الإنسان لا يطيق أن ينقسم قلبه بين محبة الله ومحبة العالم، أو يترنح بين الأبديات والزمنيات، أو يخلط بين الإتكال على الله والإتكال على ذاته البشرية ، إنما يكون القلب ثابتاً فى اتجاهه ومحبته ورجائه .

ان عدم الريب يحمل معنى عدم المداهنة للغنى على حساب الفقير .

س ـ **عديمة الرياء** أى لا تحمل فى خارجها بخلاف ما فى باطنها ، بل كما يقول الرسول « إننا فى بساطة واخلاص الله ـ لا فى حكمة جسدية بل فى نعمة لله ـ تصرفنا فى العالم » ٢ كو ١ : ١٢ .

وقد حذر الرب يسوع تلاميذه من خمير الفريسيين الذى هو رياؤهم .

ش ـ **تهب ، ثمر البر يزرع فى السلام (الآمان) من الذين يفعلون السلام** » إذ بالحكمة يحصد الإنسان ثمر البر ... هذا الحصاد المملوء آمانا هو ثمر لزرع السلام . بمعنى انه بالحكمة يصنع الإنسان سلاماً ويحصد فى آمان ثمار البر .

إنه يزرع سلاماً بخضوعه لروح الرب وعدم مقاومته له .

ويحصد براً وهذا من ثمر الروح الذى خضع له وأطاعه وتجاوب مع عمله مثابراً .

† † †

بعدما تحدث الرسول عن الحكمة السماوية والحكمة الأرضية أراد أن يوجه أنظارنا إلى خطورة الشهوات الارضية اذ هي :

١ – تفقدنا سلامنا الداخلي	١ – ٣
٢ – « « مع الله	٤ – ١٠
٣ – « « مع الناس	١١ – ١٣
٤ – لا تهبنا شيئا	١٤ – ١٧

† † †

١ – تفقدنا سلامنا الداخلي

« من اين الحروبات والخصومات بينكم اليست من هنا من لذاتكم المحاربة في اعضائكم ؟؟ »

تنبع المنازعات والخصومات لا عن مضايقات الغير بل عن ضعف الانسان الداخلي وهزيمته في الحرب الخفية التي ميدانها النفس. وقد أوضح **الاب بيامون** (٥٧) أن البناء متى إهتز وسقط لا يكون العيب في الرياح التي هبت بل في عدم تأسيس البناء على أساس قوي ، إذ يقول :

(إذا انهزم إنسان أمام خطأ وإشتعلت فيه نيران الغضب ، وجب عليه ألا يعتبر أن مرارة الاهانة الموجهة إليه هي سبب خطيته بل بالحري ظهور ضعفه الخفي.

إذاً لا نحتاج إلى البحث عن سلامنا في الخارج ، ولا نظن أن صبر الآخرين يفيد عدم صبرنا. لأنه كما أن ملكوت الله داخلنا، كذلك أعداء الانسان من « أهل

---

(٥٧) حرصاً على عدم الإطالة راجع مناظرات كاسيان ص ٤٦٢ – ٤٧٤ .

بيته » مت ١٠ : ٣٦ ، لأنه ليس عدو أكثر من قلبي الذي هو بالحق أصدق أهل بيتي إلي) .

فأساس المنازعات هي حرمان القلب من السلام الداخلي لهذا يقول القديس اغسطينوس (في الحرب الروحية إذا إنتصرنا على شهواتنا ننتصر على أعدائنا (الشياطين) . لأنه متى قهرنا فينا الشهوات الأرضية نقهر لا محالة العدو الذي يتسلط علينا بهذه الشهوات . فإذ قيل للشيطان (في شخص الحية) أن يأكل التراب ، قيل للخاطيء (في شخص آدم) أنت تراب وإلى تراب تعود . وبهذا صار الانسان طعاماً للشيطان . فإن أردنا ألا نكون هكذا يلزمنا ألا نكون تراباً) .

سر الخصومات هو إستسلامنا للذات المحاربة في أعضائنا بغير مقاومة . هذه الذات هي الرغبة في اللذة والترغ فيها بلا ضابط . وهي تعسكر في داخل الانسان لتهاجم انسانه الجديد ، فتفقده حياته وبالتالي لا يستطيع أن يتذوق السلام .

أما اذا قاوم ولم يستسلم ... فانه وإن ضايقه الجميع وساءت الظروف المحيطة به وفقد كل شيء ... لا يفقد سلامه الداخلي ولا يدخل الخوف إلى قلبه وكما يقول القديس ذهبي الفم [٥٨] (لا يضرك أحد إن لم تضر نفسك بنفسك . ان كنت لا تخطيء فإن عشرات الألوف من السيوف تهددك ولكن الله يمنعك حتى لا تقترب إليك) .

هذا ما تفعله اللذات في حياة الانسان المستسلم لها ... وماذا ينتفع منها ؟

يقول الرسول « تشتهون ولستم تمتلكون » . انها كالسراب تجذب الانسان ليجري وراءها فيضل الطريق ويزداد عطشاً دون أن ينال شيئاً لأنها لذات خادعة .

« تقتلون وتحسدون ولستم تقدرون ان تنالوا . تخاصمون وتحاربون ولستم تمتلكون لانكم لا تطلبون » .

اللذات التي تحارب في داخل الانسان ليس فقط لذات جسدية مثل النهم

(٥٨) راجع كتاب « الكنيسة تحيك » ص ٣٦ ـ ٣٨ .

والزنا... بل هناك لذات للنفس مثل الكبرياء والاعتداد بالذات ومحبة مديح الناس.

وإذ يحدث الرسول أناساً قامت بينهم خصومات فى ظاهرها من أجل الحق، لكن حقيقة دافعها اللذات المحـــاربة فى أعضائهم أى الكرامة الزمنية أو أى دوافع أرضية أخرى . . . هذه اللذات دفعتهم إلى روح الحسد والبغضة .

لهذا يقول لهم « تقتلون » أى تبغضون « وتحسدون ولستم تقدرون أن تنالوا » .

وقد دعاهم قتلة بسبب البغضة وذلك كما فى إنجيل متى (٥ : ٢٢) ورسالة يوحنا الأولى (٣ : ١٥) حيث تعتبر الكراهية قتلاً ، وفى سفر يشوع بن سيراخ (٣٤ : ٢١) يُعتبر من يهضم حق الأجير سافك دم .

فكل بغضة (أو حسد) هى قتل حتى وإن اختفت وراء الدفاع عن الحق ، ولا ينال الانسان من وراء ذلك شيئاً بل يفقد حتى حياته ، وذلك كإيزابيل التى قتلت نابوت اليزرعيلى لترث كرمه فلحست الكلاب دمها (١مل ٢١: ١-١٦) .

« تطلبون ولستم تأخذون لانكم تطلبون رديا لكى تنفقوا فى لذاتكم » .

لقد سبق الرسول فعلل سبب عدم الامتلاك أو نوال الشىء هو عدم الطلب « لستم تمتلكون لانكم لا تطلبون » . وما أصعب على الأب أن يرى أولاده محتاجين ولا يطلبون من أبيهم . . .

غير أن هناك فئة تطلب لكنها لا تأخذ . . . وليس السبب فى الواهب بل فى الطالبين ، فبينما يرفعون كلماتهم فى الصلاة إلا أن قلوبهم مرتبطة باللذات فى الأرض ، فتكون صلواتهم مكرهة أمام الرب . إذ نستخدمها وسائل لتحقيق مآرب أرضية وكأننا نقول للآب السماوى : هب لنا عطايا أرضية لأننا مرتبطون بالأرض ونريد أن نرتبط بها ولا نشتاق أن نتهيـــأ للسماء حيث يكون لنا نصيب معك .

ما أثقل على نفس الآب أن يطلب الابن منه عطايا لكى يهرب بها من وجه أبيه ، والعروس التى تطلب من عريسها هدايا ولا تطيق أن ترى وجهه !!

من أجل هذا يصرخ الكاهن فى القداس الإلهى قائلا « إرفعوا قلوبكم » ، فيجيبه الشعب « هى عند الرب » . . . عندئذ مهما طلبنا نجد وذلك كوعده الصادق (مت ٧ : ٧) .

يقول القديس اغريغوريوس (« كل ما تسألون الآب باسمى يعطيكم » . أما اسم الإبن فهو « يسوع » أى مخلص ، فالذى يسأل باسم المخلص هو ذاك الذى يسأل فيما يختص بأمر خلاصه .

إذاً فلتراجعوا طلباتكم لتنظروا ما إذا كانت باسم « يسوع » أى خاصة بأمور الخلاص ، أم يطلب أحدكم عرساً وآخر حقلاً وثالث ثوباً ورابع وزقاً وقوتاً . . . وهذه يجب أن تطلب من الخالق القدوس لكن الاولى أن نتبع قول الرب « اطلبوا أولا ملكوت الله ») .

† † †

٢ – تفقدنا سلامنا مع الله

« ايها الزناة والزواني اما تعلمون ان محبة العالم عداوة لله . فمن اراد ان يكون محباً للعالم فقد صار عدواً لله » .

يترجمها البعض « أيتها الزانيات Ye adulteress » وليس غريباً أن يستخدم الرسول هذه الصيغة ، لأنه فى العهد القديم (٥٩) كان يشبه خيانة عهد الله والانحراف عن العبادة بالخيانة الزوجية ، كما استخدم العهد الجديد (٦٠) نفس التشبيه مسمياً هذا الأمر « فسقاً » أى زنا روحى فيه ترفض النفس البشرية الاتحاد بعريسها لتتحد بإله آخر . . . هذا الإله قد يكون إنساناً معيناً أو شهوة أو مادة . . .

لذلك يشبه الرسول الكنيسة بعذراء عفيفة مخطوبة للمسيح (٢ كو ١١ : ٢) إذ لا تقبل محبة العالم وشهواته رجلاً لها مكتفية بالمسيح يسوع عريسها .

(٥٩) مز ٧٣ : ٢٧ ، أش ٥٤ : ٥ ، أر ٢ : ٢ ، ٣ : ١ ، حز ١٦ ، ٢٣ : ٣٧ – ٤٣ ، هو ٢ : ٢ .

(٦٠) مت ١٢ : ٣٩ ، ١٦ : ٤ ، رؤ ٢ : ٢١ – ٢٢ ...

لكن يتساءل البعض : لماذا نعتبر محبة العالم عداوة لله وزناً روحى ، مع أن الله خلق كل شيء من أجل الإنسان ؟

الله لا يريد مضايقتنا أو حرماننا ، لكن كإكليل للعروس أو ختمها السماوى لا يقبل أن تلتصق بآخر .

انه يريدنا أن نستعمل العالم ، لكننا نتلمس محبة الواهب دون أن يرتبط قلبنا بحب العطية ذاتها متجاهلين صاحبها . فالعالم فى خليقته حسن (تك ١) ، لكن إذ تمسك الانسان به وانشغل به عن الله ، العالم كله وضع فى الشرير ، ١ يو ٥ : ١٩ . إذ لم يعد قنطرة للعبور إلى الأبدية ، بل تعبد له الانسان وارتبط بمغرياته ، وهكذا سقط فى خطاياه . لهذا يوبخنا الرسول قائلاً :

« ام تظنون ان الكتاب يقول باطلاً الروح الذى حل فينا يشتاق الى الحسد » .

وكما يقول الله عن نفسه « لأنى أنا الرب إلهك إله غيور » خر ٢٠ : ٥ . فالروح (القدس) الساكن فينا يشتاق إلى الحسد أو يغير علينا غير مقدسة (٦١) .

وكما يقول القديس ابروتيموس (لو لم يكن الله محباً للنفس لما غار عليها ولا تعقبها على حب غيره كالرجل الذى يتعقب عروسه على حبها سواه) .

« ولكنه يعطى نعمة اعظم . لذلك يقول يقاوم الله المستكبرين واما المتواضعين فيعطيهم نعمة » .

إن كان الله يغير علينا فإنه لا يتركنا وحدنا حتى لا نخور فى أنفسنا (عب ١٢ : ٣) لكنه يهب نعمة أعظم للمتواضعين الخاضعين لعمله (أم ١٦ : ١٨) أما الذين يتكلون على ذواتهم فيقاومهم لأنهم ارتبطوا بروح إبليس المعاند ...

« فاخضعوا لله . قاوموا ابليس فيهرب منكم » .

إن كنا نرفض ملكوت إبليس يلزمنا أولاً أن نقبل ملكوت الله بالخضوع له ، بعد هذا نقاوم وعندئذ لا يكون لإبليس سلطان علينا بل يهرب منا .

---

(٦١) خر ٣٤ : ١٤ ، تث ٤ : ٢٤ ، ٥ : ٩ ، ٦ : ١٥ ، يش ٢٤ : ١٩ ، حز ٣٩ : ٢٥ ، نا ١ : ٢ ، زك ٨ : ٢ .

ويشبه **القديس يوحنا ذهبي الفم** الشيطان بكلب لا يبرح ملتصقاً بمائدة صاحبه ما دام يلقى إليه بين حين وآخر شيئاً منها . لكن إن كف عن ذلك فسيبقى إلى حين ثم ينقطع رجاءه ويهرب من المائدة ليبحث عن مائدة أخرى . هكذا يلزمنا أن نقاوم إبليس على الدوام ولا نعطيه مكاناً فينا (أف ٦ : ١١ ، ١٣ ، ٤ : ٢٧) .

كيف نخضع لله ونقاوم ابليس ؟

١ – بالاقتراب منه «اقتربوا الى الله فيقترب اليكم »

رأى الأب المحب إبنه الضال راجعاً ، فتحنن وركض ووقع على عنقه وقبله ، لو ١٥ : ٢٠ . فإن نرجع إلى الله حتى يرجع هو إلينا (زك ١ : ٣) ، لأنه ليس ببعيد عنا ، بل كما يقول « هأنذا واقف على الباب واقرع إن سمع أحد صوتي وفتح الباب أدخل إليه وأتعشى معه وهو معي » رؤ ٣ : ٢٠ .

وما أكثر الوسائل التي تدفعنا للدخول إليه والاقتراب منه والاتحاد به وذلك خلال التوبة والاعتراف بخطايانا .

التوبة هي الباب الذي ندخل منه إلى الله ، بدونها لا ننتفع بالبركات الإلهية التي نلناها في العماد ، ولا نستحق التناول من الأسرار المقدسة للاتحاد بالرب ، ولا نعرف كيف نصلي أو كيف نسمع صوت الله في كتابه ، أو كيف ندخل بيته ، أو نرنم له ونسبحه ونشكره ، أو نخدمه ونخدم أولاده ... الخ .

٢ – « نقوا أيديكم أيها الخطاة »

يقول **القديس اكليمنضس الروماني** [٦٢] (ليتنا نقترب إليه في قداسة النفس رافعين أيادي نقية غير دنسة) .

فالتوبة يلزم ألا تكون كلاماً أو مجرد مشاعر وعواطف بل لتكن سلوكاً أيضاً وحياة . لذلك طالب الرسول بنقاوة اليدين ، أو نقاوة الأعمال . ويريدنا الرسول بولس أن نصلي رافعين أيادي طاهرة بدون غضب ولا جدال (١ تي ٢ : ٨) ،

(٦٢) رسالة القديس أكليمنضس أسقف رومه .

لأنه « من يصعد إلى جبل الرب ومن يقوم فى موضع قدسه الطاهر اليدين والنقى القلب » مز ٢٤ : ٤ .

ويؤكد الله « ان كثرتم الصلاة لا أسمع ، وما هو السبب ؟ « أيديكم ملآنة دماً » أش ١ : ١٥ .

يقول **الأب نيلس السينائى** [٦٣] (ينبغى على الإنسان الذى يرغب حقيقة فى الصلاة لا أن يكون مسيطراً وسيداً على الغضب والشهوة فحسب ، بل وأن يكون غريباً عن كل فكر شهوانى) .

٣ – « وطهروا قلوبكم يا ذوى الرأيين » [٨]

وهنا لم يقل « أيها الخطاة » بل « يا ذوى الرأيين » موضحاً أن طهارة القلب تعنى وحدة الهدف ، فلا يكون منقسماً بين محبة الله ومحبة شىء آخر . هكذا عرّف **الأب موسى** [٦٤] نقاوة القلب الذى هو ثرمومتر العبادة .

وينصحنا **الأب نيلس السينائى والأب اوغريس** [٦٥] أنه عندما يبدأ العقل أن يصلى بنقاوة تهاجمه الشياطين بضربة يمينية كأن تظهر له فى شكل رؤى ومناظر حسية حتى ينحرف القلب عن الصلاة فلا يكون هدفه الوجود فى حضرة الله بل يلتهى بأمور أخرى ، حتى وان ظهرت مقدسة .

« اكتئبوا وتوحوا وابكوا ليتحول ضحككم الى نوح وفرحكم الى غم [٩] **» .**

يقول **الأب نيلس السينائى** [٦٦] (قبل كل شىء أطلب من الله أن يهبك دموعاً فربما تلين الدموع الصلابة الكامنة فى نفسك ، وتكشف لك خطاياك من نحو الله (مز ٣٢ : ٥) ، وبهذا يهبك الله عنها غفراناً .

استخدم الدموع كسلاح للحصول على طلباتك من الله ، لأن الله القدير يسر عندما تصلى بدموع ...

احذر الوقوع فى انفعال عاطفى ... فكثير من الناس ينسون الغرض من الدمـــوع) .

---

(٦٣) من الفيلوكاليا عن الصلاة .
(٦٤) مناظرات يوحنا كاسيان ١ .
(٦٥) راجع مرجع ٦٣ ص ٢٣ .
(٦٦) مرجع ٦٣ ص ٨ – ٩ .

ليعطنا الرب أن نرفع أعيننا بالدموع نحوه كالطفل تجاه أمه ، فيكون لنا هذا « الحزن الذي بحسب مشيئة الله ينشىء توبة لخلاص بلا ندامة » ٢ كو ٧ : ١٠.

جاء في سيرة **القديس باخوميوس**[٦٧] (في أحد الليالي إذ عبر باخوميوس ومعه تادرس تلميذه على مقابر وجدا قوماً ينحن ويبكين ، فتأثر باخوميوس لهذا المنظر مشتاقاً لو يبكي الكل على خطاياهم حتى يقوموا . . . لذلك قال لتلميذه : أما ترى هؤلاء كيف يبكين ويدعين على أموات ليس لهن قدرة على إقامتهم ؟! فكم يلزمنا نحن المدعوين رهبـــاناً أن نندب أنفسنا الميتة بزلاتها لكي يقيمها السيد المسيح ويحييها برحمته ؟!)

على كل حال البكاء ممدوح إن كان بقصد صالح ، كما كان يفعل سائر الآباء القديسين . فداود النبي يقول « أعوّم كل ليلة سريري بدموعي أذوب فراشي » مز ٦ : ٦ ، فمتى بالمساء هذا العالم ، والصباح العـــالم الآتي . ويوسف بكى إخوته ... وناح أرميا النبي نادباً شعبه) !

٥ – اتضعوا قدام الرب فيرفعكم[١٠]

خشي الرسول لئلا في بكائهم يحسبون أنفسهم أفضل من غيرهم فينقدون كل جهادهم . لهذا يقول **الاب نيلس السينائي**[٦٨] (عندما تسكب فيضاً من الدموع أثناء الصلاة لا تفتخر بذلك ظاناً في فكرك أنك أفضـــل من آخرين ، بل ان اعترافك بخطاياك وهبك دموعاً استجلبتا حنان الله) .

† † †

٣ – تفقدنا سلامنا مع الناس

رأينا أن محبة الارضيات تفقدنا سلامنا الداخلي وسلامنا مع الله ، وبالتالي تفسد نظرتنا للآخرين فندينهم ونذم وترى كأن الكل أشـــرار . لذلك ينصحنا الرسول **«لايذم بعضكم بعضا أيها الاخوة . الذي يذم أخاه يذم الناموس ويدين الناموس . وان كنت تدين الناموس فلست عاملا بالناموس بل ديانا له**[١١] » .

(٦٧) باخوميوس أبو الشركة وتلميذه تادرس طيبة ٦٧ ص ٤٦ . (٦٨) مرجع ٦٣.

انه يوجه الحديث قائلا « أيها الإخوة » ، فإذ نحن إخوة يليق بنا أن نستر ضعفات بعضنا البعض مترفقين بالكل . فمن يذم أخاه يذم الناموس الذى أوصانا بمحبة القريب كنفوسنا ، ومن يدين الناموس ويرفضه إنما يرفض واضعه مع أنه

« واحد هو واضع الناموس القادر أن يخلص ويهلك فمن انت يامن تدين غيرك ؟[١٢] »

انه الديان الوحيد واضع ناموس الحب والرحمة وقادر أن يخلص وقادر أن يدين ، فمن نحن حتى ندين الآخرين فنسلب الله حقه وعمله ؟!

ذكر بلاديوس (حدث أن دان اسحق القس التبايسى أخاً على فعل ما ، وذلك بعد خروجه من الجماعة ليتوحد فى البرية ، فجاءه ملاك يقول له « الرب يقول لك : أين تضاء أن تطرح نفسر ذلك الأخ المخطىء الذى تدينه ؟! » فلما أدرك خطأه قال « أخطأت . إغفر لى » ....

ويقول **الشهيد كبريانس**[٦٩] (لا يجوز لنا أن نسبق بالحكم مادام الرب نفسه هو الديان الهم إلا إذا كان سيصادق على ما نحكم به الآن على الخطاة حتى إذا وجد فيما بعد توبة صادقة وكاملة منهم) .

† † †

٤ – لا تهبنا شيئاً

سر انجذابنا للشهوات وانشغالنا بالأرضيات هو عدم إدراكنا لحقيقة غربتنا على الأرض ، أو تناسينا لها ، لهذا يوبخ الرسول قائلا :

« هلم الآن ايها القائلون نذهب اليوم او غدا الى هذه المدينة او تلك ونصنع هناك سنة واحدة ونتجر ونربح . انتم الذين لا تعرفون امر الغد . لانه ما هى حياتكم انها بخار يظهر قليلا ثم يضمحل[١١] » .

ليس العيب فى الانجـــار ، لكن فى التحديد بأمر قاطع دون تسليم المشيئة للرب . حسن للإنسان أن يدبر الأمور متكلا على الله وشر أن يظن أنه قادر على تدبير أموره بحكمته الخاصة . فالرب لا يعلمنا التواكل بل الإتكال ، بل يطلب

(٦٩) الحب الأخوى ص ٤٤٥ .

الأمانة فى كل عمل لكن بغير كبرياء ، كالغنى الغبى الذى جمع الكثير وظن أنه قادر أن يشبع نفسه لسنين كثيرة فطلبت نفسه فى ذات الليلة (لو ١٢ : ١٥-٢١) .

« ما هى حياتكم ؟ » هكذا يستخف الرسول بالحياة الزمنية من أجل قصرها، وكما يقول **القديس ذهبى الفم** (٧٠) (إن الحياة هنا وأمورها هى بمجرد طريق، أما مسكننا فهو أمور الدهر الآتى .

أمور هذه الحياة تشبه الربيع ، أما الحياة الأخرى فهى كالصخور لا تتهدم) .

لم يقل الرسول « لماذا تذهبون وتتاجرون ، إنما كان لومه هكذا « **عوض ان تقولوا ان شاء الرب وعشنا نفعل هذا او ذاك . واما الآن فانكم تفتخرون فى تعظمكم كل افتخار مثل هذا ردىء** »[16] .

لقد كانت عادتهم أن يذهبوا إلى المدن الجديدة ويقضوا حوالى عام ليتجروا ويربحوا ويعودوا إلى بلدهم . لم يلمهم على هذا إنما لامهم لأنهم لم يسلموا المشيئة فى يدى الله ، بل إتكلوا على ذراعهم وتخطيطاتهم وحكمتهم وتكبروا . . وهذا أمر ردىء .

« **فمن يعرف ان يعمل حسنا ولا يعمل فذاك خطية له**[17] » .

وكأنه يجيبهم على سؤال وجهوه إليه : وهل فى هذا العمل خطية ؟ نحن لم نؤذى أحداً ولا أسأنا إلى الناموس ... فلماذا تلومنا ؟

بلا شك عدم الإتكال على الله خطية ، لكن الرسول أجابهم بصورة أروع . « من يعرف أن يعمل حسناً » أى يتكل على الله . « ولا يعمل فذاك خطية » فماذا يكون الأمر إن كنتم تعرفون ما هو شر وتفعلونه ؟

† † †

(٧٠) العناية الإلهية للقديس يوحنا ذهبى الفم مترجم عن الفرنسية لمايدة حنا ف ١١ .

الأصحاح الخامس

بعدما تحدث عن الشهوات الأرضية عاد ليحدثنا عن خطورة الانشغال بالغنى:

١ – الانشغال بالغنى ١ – ٦
٢ – موقف المؤمنين من الاغنياء الظالمين ٧ – ١١
٣ – عدم القسم ١٢
٤ – ارشادات :
أولا : فى حالة الحزن ١٣
ثانيا : « « السرور ١٣
ثالثا : « « المرض ١٤ – ١٨
رابعا : « « انحراف اخ ١٩ – ٢٠

† † †

١ – الإنشغال بالغنى

١ – الغنى غير باق

« هلم ايها الأغنياء ابكوا مولولين على شقاوتكم القادمة [١] . غنـاكم قد تهرأ وثيابكم قد اكلها العث [٢] . ذهبكم وفضتكم قد صدئا . وصـداهما يكون شهادة عليكم ويأكل لحومكم كنار. قد كنزتم فى الأيام الاخيرة [٣] » .

يطلب الرسول من الأغنياء المتكلين على أموالهم أن يبكوا بل ويولولوا :

(أ) لأن شقاوتهم قادمة .. وهنا كلمة « قادمة » لا تعنى المستقبل البعيد إنما تعنى أنها على الأبواب ولهذا السبب يسمى ذهبى الفم المال بـ «الشارد» [٧١] إذ يؤدى إلى أتعاب كثيرة ، وعند الضرورة يهرب ولا يقف بجوار صاحبه .

(ب) لأن شقاوتهم تنبع عن نفس المصدر الذى يترجون منه السعادة . فغناهم قد تهرأ ، وهنا لم يقل « سيتهرأ » ، وذلك للتأكيد .

(٧١) الكنيسة تحيك ص ٣٥ .

« وثيابكم أكلها العث » ، والثيـــاب علامة الغنى ، كما هو علامة السلطان والسطوة (أش ٣ : ٦) ، فعندما أحب يعقوب يوسف أعطاه ثوباً ملوناً الامر الذى أثار حسد إخوته عليه .

« ذهبكم وفضتكم قد صـــدئا » ... انه لم يذكر معدناً رخيصاً كالبرنز (مى ١٢ : ١٠) وذلك بسبب غناهم ... فإنه حتى المعادن الثمينة مع الوقت تفقد لمعانها وجمالها . وهنا يذكرنا الرسول بمثل العبد الكسلان الذى حفر فى الأرض وأخفى فضة سيده ، مت ٢٥ : ٢٦ .

(ج) ان هذا يكون شهادة عليهم ويأكل لحومهم كنار ، إذ تحترق أجسادهم وتهلك نفوسهم كما بنار ... لأن محب المال لا يستريح هنا ولو إقتنى العالم كله ، ولا يستريح فى الأبدية إذ لا يطيق أن يعاين الله .

(د) « قد كنزتم فى الأيام الأخيرة » . بينما كان يلزم الاستعداد للرحيل بدأوا يكنزون ويزينون المسكن ويبنون بيوتاً مع أنهم فى لحظات يرحلون .

٣ – ينزع العدل والرحمة

« هوذا أجرة الفعلة الذين حصدوا حقولكم المنجوسة منكم تصرخ وصياح الحاصدين قد دخل الى أذنى رب الجنود » .

حب الاقتناء يفقد الإنسان رحمته بأخيه بل يدفعه إلى ظلم الأجير . وهو أحد الفئات الأربع التى تهتز السموات لصراخهم ويسمع لهم الرب وهم :

† المقتول عمداً (تك ٤ : ١٠) † صراخ المسكين (خر ٢)
† صراخ التائبين (تك ١٨) † صراخ الأجراء المظلومين

إنها تصرخ كدم هابيل الذى يطلب الانتقام ، إذ يقـــول الكتاب (٧٢) . « لا تبت أجرة أجير عندك إلى غد » لا ١٩ : ١٣ ، « من يمسك أجرة الأجير يسفك دمه » مى ٣٤ : ٢٧ .

ونلاحظ أن الرسول يلقب الله « رب الجنود » أى رب الصباؤوت أو رب الجنود أو رب القوات السمائية بمعنى أنه قادر على الدفاع عن المظلومين .

(٧٢) راجع تث ٢٤ : ١٤ ، ١٥ ، ١ ط ٣ : ١٤ ، ١٥ : ٩ ، ١١ – ١٣ ، أم ٣ : ٢٧ ، ٢٨ ، أش ٥ : ٨ ، أى ٢٤ : ١٠ ، طو ٤ : ١٥ .

٣ – يدفع الى حياة الترفه والتنعم

« قد ترفهتم على الارض وتنعمتم وربيتم قلوبكم كما فى يوم الذبح » .

لقد خلق العالم لنستخدمه لا لكى تلهو فيه وبه عن الخالق ، إذ يوبخنا قائلا «لما رعوا شبعوا ، شبعوا وارتفعت قلوبهم لذلك نسونى» هو١٣ : ٦ ، «أليست الحياة أفضل من الطعام والجسد أفضل من اللباس ؟» مت ٦ : ٢٥ .

ان حياة الانغماس فى الترف تحرم الانسان من ضبط نفسه « أما المتنعمة فقد ماتت وهى حية » ١ تى ٥ : ٦ .

بالتنعم يستر القلب لكى يذبح فى يوم الدينونة ، لهذا يحذرنا الرب « فاحترزوا لانفسكم لئلا تثقل قلوبكم فى خمار وسكر وهموم الحياة فيصادفكم ذلك اليوم بغتة » لو ٢١ : ٣٤ .

٤ – يقاوم البر والابرار

« وحكمتم على البار قتلتموه . لايقاومكم » .

وربما قصد بالبار الرب يسوع كما سبق أن قال اسطفانوس الشماس فى توبيخه لجماعة اليهود « البار الذى أنتم صرتم مسلميه وصالبيه » أع ٧ : ٥٢ .

وربما قصد بالبار جماعة المؤمنين الذين قتلهم اليهود وخاصة الاغنياء منهم ورؤساءهم دون أن يقاوموهم وذلك مثل أسطفانوس ويعقوب بن زبدى .

وربما أيضا كان يتحدث بروح النبوة عن نفسه ، إذ قتلوه دون أن يقاوموهم مع أنهم كانوا يدعونه بالبار .

وهذا النص جعل البعض يرى أن أقوال الرسول فى هذا الجزء (٥ : ١-٦) موجه إلى الأغنياء غير المؤمنين أى اليهود .

† † †

٢ – موقف المؤمنين من الأغنياء الظالمين

« فتأنوا ايها الاخوة الى مجىء الرب »

مجىء الرب يبعث فى المؤمنين (الإخوة) طول الأناة والإحتمال ، إذ يحول

الآلام إلى لذة ومتعة وتصير موضوع فرح ... لأنها تزكيه فى ذلك اليوم .

يقول **الشهيد اغناطيوس الثيؤفوروس (حامل الاله)** [٧٣] (ليت النـــار والصليب ... ليت جماعات الحيوانات المفترسة ... ليت التحريق والكسر ... خلع العظام وبتر الأعضاء ... تقطيع الجسد إرباً إرباً ... وليت كل عذابات الشيطان تنصب علىّ ، لكننى فقط أصل أنا يسوع المسيح) .

هكذا إذ يتطلع المؤمن إلى يوم الرب يشتهيه عامـــلا ومثابراً بنعمة الرب كالفلاح الذى يترجى يوم الحصاد .

« هوذا الفلاح ينتظر ثمر الارض الثمين متانيا عليه حتى ينـال المطر المبكر والمتاخر [٧] **. فتانوا انتم وثبتوا قلوبكم لان مجيء الرب قد اقترب** [٨] **» .**

فمن أجل الحصاد يحتمل الفلاح الآلام والاتعاب لينال المطر المبكر والمتأخر الذى يعينه على الإثمار ... هكذا إذ ننتظر مجيء الرب حصادنا يلزمنا أن نحتمل كل شىء لننال بركات الرب ونعمه علينا التى قدمها ويقدمها لنا فى العهد القديم وفى العهد الجديد .

كلما اقترب موعد الزفاف يتملق قلب العروس بعريسها مهيأة نفسها ليوم العرس ، متزينة بكل هداياه لها . هكذا نتزين نحن بكل هبات الرب ـ المبكرة والمتأخرة ـ لنتقدم عروس عفيفة طاهرة بلا عيب ولا دنس ولا غضن .

ومن أجل يوم العرس نحتمل الضيق بقلب ثابت بلا تردد وذلك كقول الرسول :

« فتانوا انتم وثبتوا قلوبكم لان مجيء الرب قد اقترب »

هكذا تحتمل العروس وتجاهد ولكن بفرح وسرور من أجل اقتراب يوم زفافها ... هكذا كاكتب البطريرك المتألم البابا **اثناسيوس الرسولى** إلى شعبه يوضح لهم عذوبة الطريق واتساعه رغم ضيقه وأتعابه قائلاً [٧٤] :

---

(٧٣) أغناطيوس وبوليكربس ورسائلهما (رسالة إلى رومية) .

(٧٤) رسائل القيامة طبعة ٦٧ ص ١٣٠ .

(ومع أن طريق الملكوت ضيق وكرب بالنسبة للانسان ، لكنه متى دخل رأى اتساعاً بلا قياس ، وموضعاً فوق كل موضع ، إذ شهد بذلك أولئك الذين رأوا وعاينوا وتمتعوا بذلك .

(يقول البشر فى الطريق) جعلت ضغطاً ، أحزاناً على قوتنا ، مز ٦٦ : ١١ ، لكن عندما يرددون فيما بعد عن أحزانهم يقولون ، أخرجتنا إلى الخصب ، ع ١٢ ، وأيضاً ، فى الضيق رحبت بى ، مز ٤ : ١) .

« لا يئن بعضكم على بعض أيها الاخوة لئلا تدانوا . هوذا الديان واقف على الباب » .

إنكم كإخوة لا يليق بكم أن يئن أحدكم على الآخر ، أو يطلب من الله الانتقام ، فإن هذا ليس عملنا بل عمل الديان .

هوذا الديان واقف على الباب . . . أى يوم الرب قد اقترب جداً . . . فالآن ليس وقتاً للانتقام والإدانة بل وقت الخلاص وإعانة غير العارفين الحق وذلك بحبنا لهم وصلاتنا من أجلهم لأجل إنقاذهم وليس للانتقام منهم .

إنها لحيظة ينبغى علينا فيها أن نختبىء فى حب الله ومحبة القريب فنخلص نحن ونخلص الآخرون معنا أيضاً .

وكما يقول **القديس اكليمنضس الرومانى** [٧٥] (كل الأجيال ، من آدم إلى يومنا هذا ، تموت . ولكن الذين بنعمة الله تكملوا فى الحب فلهم موضع بين القديسين ويظهرون عند ظهور ملكوت السموات . إذ مكتوب ، هلم يا شعبى أدخل مخادعك وأغلق أبوابك . إختبىء نحو لحيظة حتى يعبر الغضب ، أش ٢٦ : ٢٠ ، وأتذكر يوماً حسناً فأقيمكم ، حز ٣٧ : ١٢ . . .

فموسى عندما صعد على الجبل وقضى أربعين يوماً وأربعين ليلة فى صوم واتضاع قال له الله ، قم إنزل عاجلاً من هنا لأنه قد فسد شعبك . . . أتركنى فأبيدهم وامحو إسمهم من تحت السماء وأجعلك شعباً أعظم وأكثر منهم

(٧٥) رسالة ١ كليمنضس الأول طبعة ٦٧ ص ٤١ - ٤٦ .

تث ٩ : ١٢ - ١٤ ، أجابه موسى ، الآن إن غفرت خطيتهم وإلا فامحنى من كتابك الذى كتبت (للحياة) ، خر ٣٢ : ٣١ ، ٣٢ .

يا لعظمة الحب ! يا لكماله العجيب ! العبد يكلم سيده بصراحة طالباً الغفر لشعبه أو أن يحذف إسمه هو أيضاً معهم ! ...

هكذا نحن أيضاً يلزمنا أن نطلب من أجل كل ساقط فى الخطية حتى يهب لهم إمعان الفكر والانضاع ، فيخضعوا لإرادة الله وليس لنا) .

« خذوا يا اخوتى مثالا لاحتمال المشقات والاناة الأنبياء الذين تكلموا باسم الرب [١٠] ».

وكأن الرسول يوبخنا قائلاً " أنتم قد اقتربتم من يوم الرب ، ومجىء الرب صار على الأبواب فإن كنتم لا تقتدون بالرب يسوع عريسكم أو حتى برجال العهد الجديد مثل أسطفانوس ويعقوب بن زبدى لكن فلا أقل من أن تمتثلوا برجال العهد القديم .

فالأنبياء رأوا خلال الرموز والظلال والرؤى وروح النبوة ، ومع هذا لم يفلت منهم أحد من الآلام والمشقات التى حلت بهم من اليهود ، أما نحن فقد رأينا وسمعنا ما لم يره الأنبياء ويسمعوه ، أفلا يليق بنا أن نحتمل على الأقل ما إحتملوه ؟ !

لقد اقتربت بنا الأيام جداً وصرنا فى الساعة الأخيرة ، فيلزم أن يزداد رجاؤنا ونستعد للآلام مطوبين الذين سبقوا فإحتملوا بصبر .

« ها نحن نطوب الصابرين . قد سمعتم بصبر أيوب ورأيتم عاقبة الرب كثير الرحمة ورؤوف [١١] ».

وكما يقول **البابا الناسيوس الرسولى** [٧٦] (كان أيوب يرى أن العالم هو مكان يتجرب فيه البشر على الأرض (أى ٧ : ١) ، فيتزكون فى هذا العالم

---

(٧٦) رسائل القيامة ص ٦ / ١٥٥ .

بالأحزان والآتعـــاب والغم ، فينال كل واحد منهم المجازاة التى تتلائم معه ، إذ يقول الله على لسان النبى « أنا الرب فاحص القلب مختبر الكلى لأعطى كل واحد حسب طرقه » أر ١٧ : ١٠) .

ويقول مار افرام السريانى [٧٧] (التجارب تساعد العادلين والأبرار ، فأيوب رجل التميز كان منتصراً فى تجاربه .

لقد حل به الضعف ، ومع ذلك لم يفشك !

المرض أحزنه لكنه لم يتذمر !

جسده سقط وقوته وهنت أما إرادته فلم تضعف !

لقد برهن فى آلامه على كماله ، لأن التجارب لم تهلكه !) .

وحلل القديس يوحنا ذهبى الفم آلام أيوب وكيف احتملها بصبر وقد سبق ترجمة تحليله هذا فى كتيب عن « رد عن القائلين بأن للشيطان سلطـــان علينا » [٧٨] مكتفياً هنا بذكر مقتطفات منها :

(أيها الاحباء لنقتد بأيوب المجرب بحنين أقصى ربح ...

تأملوا ذاك الذى صار معـــدماً فى كل شىء ، فإنه سيكون مصدر تعزية بالنسبة لكم فى كل ألم وكل كارثة . إذ هو كن يقف على مسرح العـــالم عامة ويتحدث ذلك الرجل المبارك النبيل مع الجميع عن الآلام التى إحتملها ، حتى يحتملوا كل ما يحل بهم بنبل ...

١ - افتقر أكثر من الشحاذين ... هؤلاء لهم ثوب ممزق ، أما هو فجلس عريانا ، بل كان له ذلك الثوب الذى أمدته به الطبيعة أى الجسد ، وحتى هـذا الثوب مزقه الشيطان من كل جانب ، بل أصابه بالقروح .

هذا القطيع الفقـــير له على الأقل أن يستظل تحت سقيفة فى الطرقات ولهم

(٧٧) إرشادات وتسابيح ص ١٦ .

(٧٨) هل للشيطان سلطان علينا ص ٩٠ - ٩٦.

مأوى ، أما أيوب فبقى لياليه فى العراء لا سقف له يأويه ! ...

هؤلاء لهم (شرور) يوبخون بها أنفسهم ، وهذه تسلية بتعزية ليست بقليلة فى أثناء الكارثة ... أما أيوب فنزعت عنه كل تعزية !

هؤلاء فقراء من مولدهم فإعتادوا على الفقر، أما هو فإحتمل كارثة لم يقدر عليها !

لقد حُرم من الأرض المجردة ، بل جلس فى مزبلة ...

٢ - **الام الجسد** : من بلغ به العجز مثله ؟ ! من احتمل أمراضاً هكذا ؟!... الرائحة الكريهة تحيط به من كل جانب بعنف ، والجسد يتحطم قليلاً قليلاً وتصيبه الغرغرة ... ولم يكن قادراً حتى على التنعم بالقوت المعطى له (أى ٦ : ٥) .

٣ - **احتماله موت اولاده** . لقد فقد أولاده العشرة . الكل أكتسحوا دفعة واحدة . والجميع فى ريعان شبابهم . والعشرة كانوا فضلاء ، ولم يموتوا موتاً طبيعياً بل موتاً قاسياً يرثى له .

٤ - **احتماله سخرية البشر** : وكان أيضا هروب أصدقائه منه واستهزائهم وسخريتهم وتهكمهم وتجريحهم له أمراً لا يطاق (أى ١٩ : ١) . فإن آلام الكارثة لا تعادل تلك التى تنبع من أولئك الذين يوبخوننا أثناء الكارثة ...

لقد دعاهم غير رحماء بقوله « أقاربى قد خذلونى والذين عرفونى نسونى . نزلاء بيتى وإمائى يحسبوننى أجنبياً . صرت فى أعينهم غريباً . عبدى دعوت فلم يجب . بفمى تضرعت إليه » (٧٩) أى ١٩ : ١٤ - ١٦ ...

٥ - **أهوال الليل** : لم يجد راحة حتى بالليل ، فإن أهوال الليل المرعبة كانت أقسى من مصائبه بالنهار ... « ترعبنى بالأحلام وترهبنى برؤى » أى ٧ : ١٤ .

إذن فلنكن آلام هذا الرجل أدوية لأمراضنا ، وأمواج بحره الهائج ميناء لأتعابنا ، ناظرين إلى هذا البار فى كل ما يحدث لنا ...

---

(٧٩) استعملت ذكر النص كاملا .

ولكن إن قلت : إنه أيوب ! ... (أقول) إنه كان الأجدر بك أن تحتمل أكثر منه ... لأن أيوب كان في عهد ما قبل النعمة وقبل الناموس ، حيث لم تكن هناك حياة عددة ولا أعطى نعمة الروح العظيم ، عنـــدما كان يصعب محاربة الخطية ، وكانت اللعنة سائدة والموت مرعباً) .

† † †

٣- عـــدم القسم

« ولـكن قبل كل شيء يا اخوتي لا تحلفوا لا بالسماء ولا بالأرض ولا بقسم آخر. بل لتكن نعمكم نعم ولاكم لا لئلا تقعوا تحت دينونة[٢] » .

القسم معناه اشهاد الله على عمل معين أو على تعهد معين، أو أنك تقول الصدق.

وإذ كل الخليقة من أعلى السماء إلى أسفل الأرض، من عرش الله إلى الشعرة البيضاء أو السوداء جميعها تحكمها العناية الإلهية، لذلك فمن يقسم بالسماء أو الأرض أو أورشليم أو رؤوسهم يرتبطون بالقسم أمام الله (٨٠).

لكن قد يسأل أحد : لقد جاء في الشريعة « أوف للرب أقسامك » فلماذا منع الرب (مت ٥) ويعقوب الرسول القسم ؟

١- رأى القديس يوحنا ذهبي الفم (٨١) :

يوضح القديس خطورة القسم في :

(أ) ان الشيطان يستغله لتقسم أثناء غضبنا ، فإذا ما عدنا إلى هدوئنا نلتزم بما أقسمنا به في غضبنا ، فتنجذب إلى الخطية قسراً .

(ب) اننا في لحظات اللذة والشهوة يفقد الإنسان اتزانه فيقسم ، كما فعل هيرودس حينما أقسم في فترة خنوعه للشر أن يعطي لابنة هيروديا ما تطلبه ولو كان نصف المملكة ... والتزم بقطع رأس يوحنا المعمدان .

---

(٨٠) اقسطينوس : الموعظة على الجبل ٥/١٢٤ .

(٨١) Concerning the Statues

(جـ) من أجل تحقيق هدف سامى يقسم الإنسان من غير أن يدرك مايقسم من أجله ، كما فعل يفتاح إذ صار قائلاً لإبنته بسبب قسمه (قض ١١) .

٢ – رأى القديس اغسطينوس (٨٢) . ويتلخص فى :

يرى أن القسم ليس خطية فى ذاته ، ولكن الرب منعنا من القسم :

(ا) لأنه لايليق أن نقسم بالله من أجل أمور زمنية .

(ب) أن من يعتاد على القسم فيما هو صدق لايقدر أن يمتنع فيما هو كذب.

(جـ) ان الرسول بولس قد أقسم كما فى غلا ١ : ٢٠ ، ٢ كو ١١ : ٣١ ، رو ١:١٩ ... وذلك بشروط :

أولا : أن يكون من أجل خلاص الناس وليس من أجل ربح زمنى له أو لهم .

ثانياً : موضوعه الكرازة والبشارة وليس أمراً زمنياً .

ثالثاً : ان يشهد الله على حق أكيد ...

رابعاً : ان هذه الشهادة أو القسم من أجل ضعف السامعين وليس تأكيداً لكلامنا .

ومع هذا فإذ يعتاد اللسان على القسم لايدرك أو يميز بين القسم الحقيق وغير السليم لهذا يمنعنا الرب منه بتاتاً .

† † †

٤ – إرشادات

أولا : فى حالة الحزن

« أعل احد بينكم مشقات فليصل[١٣] » .

الرب يسوع للمسيح هو المركز الذى تتجه إليه أنظارنا فى كل الظروف

(٨٢) اغسطينوس : للوعظة على الجبل وعظات على فصول منتخبة من العهد الجديد .

والأحوال : الضيق أم الفرح أم المرض أم سقوط أخ وانحرافه . . . فى كل أمورنا نتجه نحو الرب .

فى الضيق نرفع أنظارنا بالصلاة . وكما يقول **الأب نيلس** [٨٣] (إن الصلاة هى دواء الفم وانقباض النفس) .

المؤمن المتعقل يحول آلامه إلى لقاءات مع الرب ، فقد جاء فى سيرة **القديس باخوميوس** [٨٤] انه إذا كان يجمع الحطب متى دخلت فى قدمه شوكة كان يذكر شوكة الخطية ويتأمل آلام الرب حتى أنه كثيراً ما كان يستغرق فى صلاته بدموع ناسياً إخراج الشوكة من قدمه .

ومن احسانات الله علينا أنه يسمح لنا بالتجارب ولا يستجيب لطلباتنا سريعاً بل يتركنا فى الضيق لنتمم الوجود فى حضرته . وكما يقول **الأب نيلس** [٨٥] (لا تضطرب وتحزن إذا لم تحصل على طلباتك من الله ... الله يريد أن يفيدك أكثر بأن يعلمك الإلحاح فى الصلاة مع الصبر فى الوقوف أمامه ، **لأنه اى شيء أسمى من الوقوف أمام الله فى حديث معه والدخول فى شركته ؟!**) .

ثانيا : فى حالة الفرح

« أصرور أحد فليرتل » .

يلزمنا ألا ننشغل بفرحنا عن المسيح بل يكون فيه ، ونستخدمه كفرصة لتسبيح الله وشكره [٨٦] . وقد خصص الكتاب أسفاراً وأصحاحات بأكملها للتسبيح مثل سفر المزامير وتسبحة موسى (خر ١٥) وتسبحة الثلاث فتية ...

وقد رتبت الكنيسة أن يسبح أولادها بتسابيح مقتطفة من الكتاب المقدس أو بروحه وذلك فى مناسبات متعددة منها قبل صلاة القداس الإلهى وأثناء توزيع جسد الرب ودمه وفى أثناء الفرح بأعياد القديسين الذى انطلقوا إلى الفردوس.

وقد نغمت الكنيسة المزامير وكثير من التسابيح بنغمات جميلة وقسمتها إلى

---

(٨٣) الفيلوكاليا عن الصلاة ص ١٠ (٨٤) القديس باخوميوس أب الشركة

(٨٥) الفيلوكاليا عن الصلاة ص ١٤ (٨٦) أف ٥: ١٩، ٢٠، ١كو ١٤: ١٥، كو ٣: ١٦

مقاطع ، فكان المؤمن أينما وُجد يقول مقطعاً فيرد عليه الباقون بالمقطع التالى وهكذا أينما وجدت : فى الحقول أو البيوت أو المتاجر ... لاتسمع سوى مزامير وتسابيح روحية تشعل القلب بمحبة الله والصلاة له بحرارة .

يقول **الأب اسحق** (٨٧) (من له القدرة ـ مهما بلغت خبرته ـ أن يعدد الأسباب التى تثير القلب فيلتهب مشتعلاً بالنار وتحثه للصلوات الورعة العظيمة الغيرة ؟! لكننا نذكر أمثلة قليلة منها ...

أحياناً التغنى بمقطع من المزامير يبعث فينا صلاة حارة .

وأحياناً انسجام اللحن لصوت أحد الإخوة يثير الأذهان الخاملة إلى إبتهالات كثيرة .

كذلك طريقة النطق والوقار الذى للرنم (بالتسبيح يلهب غيرة من معه...) .

ويقول **الأب نيلس السينائى** (٨٨) (صلِ فى سلام ونقاء ، ترتل بفهم ولذة وبذلك ستكون كنسر صغير يحلق فى أعلى السماء .

ترتيل المزامير يسكن الشهوات ويكبح نبضات آلام الجسد ، والصلاة تدفع العقل لأن يكون حكيماً وسليماً فى أفعاله . ..

ترتيل المزامير هو صورة لتنوع الحكمة الإلهية . ..

ان لم تكن قد أخذت عطية الله أو ترتيل المزامير أطلب بحرارة وإلحاح فستأخذ) .

قالنا : سر مسحة المرضى وسر الاعتراف

« امريض أحد بينكم فليدع قسوس الكنيسة فيصلوا عليه ويدهنوه بزيت باسم الرب . وصلاة الايمان تشفى المريض والرب يقيمه . وان كان قد فعل خطية تغفر له [١٥] اعترفوا بعضكم على بعض بالزلات وصلوا بعضكم لاجل بعض لكى تشفوا . طلبة البار تقتدر كثيرا فى فعلها [١٦] . كان ايليا انسانا تحت الآلام مثلنا وصلى صلاة أن لا تمطر فلم تمطر على الارض ثلاث سنين وستة اشهر [١٧] . ثم صلى أيضا فاعطت السماء مطرا واخرجت الارض ثمرها [١٨] » .

(٨٧) مناظرات كاسيان ص ٢٣٣ (٨٨) الفيلوكاليا عن الصلاة ص ٢٦،٢٥

الكنيسة كأم تترفق بأولادها ومسئولة أن تشبع لهم إحتياجاتهم ليس فى ترفه أو تنعم ولكن بالقدر الذى به يسلكون فى طريق الصليب. لذلك إذا مرض الإنسان :

فليدع قسوس الكنيسة وقد سلمنا الآباء الصلوات التى يصليها الكهنة من أجل المريض . وقد وضعت بإرشاد الروح القدس وقد سبق التعليق عليها [٨٩] إنما نذكر هنا عنها :

١ - إنها توجه أنظار المؤمن المريض جسدياً إلى خلاص نفسه والاهتمام بالشفاء الروحى. وما أكثر الفصول من الكتاب المقدس والصلوات التى يبتهل بها الكاهن من أجل غفران خطايا المريض ومن معه وخطايا الكاهن نفسه وجهالات كل الشعب .

٢ - تشترط الكنيسة أن يلازم سر مسحة المرضى سر الاعتراف واعترفوا بعضكم على بعض بالزلات ، وهنا واضح أن الذى يعترف هو المريض للكاهن وليس الكاهن للمريض .

يقول القديس اغسطينوس بأنه هل عندما يقول « علموا بعضكم بعضاً » نفهم منها أن التلميذ يعلم المعلم أم واضح أن المعلم هو الذى يعلم التلميذ . وهكذا أيضاً عندما نقول « اشفوا بعضكم بعضاً » واضح أن الطبيب هو الذى يشفى المريض .

٣ - « **ويدهنوه بزيت باسم الرب** » ... فالسر هنا لا يعتمد على بر الكاهن وصلاحه بل على « اسم الرب » . فالعامل فيه هو الروح القدس . غير أن إيماننا فى السر شرط أساسى « **وصلاة الايمان تشفى المريض والرب يقيمه** » .

فالكنيسة كعروس للرب تطلب بروح عريسها أن يقيم أولادها ... لكنها تقدم مشيئته لا مشيئتها الذاتية ... فقد يكون لخير المريض - رغم مغفرة خطاياه - أن يبقى فى المرض لأجل تأديبه أو تزكيته أو بحكمة إلهية أخرى كما حدث مع بولس الرسول . لذلك تصلى الكنيسة قائلة :

---

(٨٩) راجع كتاب الحب الإلهى « الله مقدسى ».

(يامن أقام إبن الأرملة وإبنة الرئيس من الموت لما أمر بالقيام وأقام لعازر من بعد موته بأربعة أيام من الجحيم بسلطان لاهوته **اقم عبدك هذا من موت الخطية** وإن أمرت بإقامته إلى زمان آخر فامنحه مساعدة ومعونة لكى يرضيك فى كل أيام حياته .

وان امرت بأخذ نفسه فيكون ذلك بيد ملائكة نورانيين يخلصونه من شياطين ظلمة . إنقله إلى فردوس الفرح ليكون مع جميع القديسين بدمك الذى سفك من أجل خلاصنا الذى به اشترينا لأنك أنت رجاؤنا ...) .

٤ - يقدم الرسول لنا مثلا فى الإيمان ... وهو كعادته يوبخ المؤمنين بأمثلة من رجال العهد القديم .

فالسماء خضعت لإيليا حينما أصدر لها أمراً لكى تمتنع عن المطر (١مل ١٨) ومن هو إيليا هذا ؟ إنه إنسان تحت الآلام مثلنا ، أى تحت الضعف مثلنا !

ونلاحظ أن النبى صلى من أجل السماء لكى تمتنع عن إسقاط المطر ليس إنتقاماً لنفسه بل تأديباً للشعب الذى ترك عبادة الله الحى وعبد إله الصيروفيين ، فاستجاب له ، فكم بالأكثر تكون قوة صلاة الكنيسة عروس المسيح فى سر المسحة من أجل شفاء المريض ، روحياً أولا ثم جسدياً .

يقول **العلامة ترتليان** (٩٠) (إستخدمت صلوات العهد القديم من أجل الخلاص من النيران (د ا ٣) والوحوش (د ا ٦) والمجاعات (يع ٥) مع أنهم لم يكونوا قد إستلموا الصلاة من السيد المسيح ، فكم بالأكثر تكون فاعلية الصلاة المسيحية قوية جداً إذ لا تأتى بالملائكة لكى تهدىء من عمل النار ولا بكم الأسود ولا تقدم للجائع خبزاً طازجاً (٢ مل ٤ : ٤٢ - ٤٤) . إنها ليس لها نعمة نزع مشاعر الألم (أى نزع التجارب) بل تهب الألم والشعور به والحزن ، هذا كله مع الاحتمال . إنها تغذى الهبة بالفضيلة ...) .

(90) Tert. On Prayers 29.

رابعاً : فى حالة انحراف أحد الاخوة

« أيها الاخوة ان ضل أحد بينكم عن الحق فرده أحد فليعلم أن من رد خاطئاً عن ضلال طريقه يخلص نفساً من الموت ويستر كثرة من الخطايا [٢٠] » .

هكذا إختتم الرسول رسالته بهذه العبارة . ومع أنه عالج فى الرسالة أموراً كثيرة تكشف عن ضعفات المرسلة إليهم مثل محبة التعليم وحب الظهور وكثرة الكلام والمحاباة الأغنياء فى أماكن العبادة والقسم ... إلا انه يختم الرسالة هكذا ، لا أن يكفوا عن أفعالهم هذه ، إذ سبق أن أرشدهم إلى ذلك ، بل أن يبحثوا عن الخروف الضال .

والسبب فى هذا أنه بهذا « يخلص نفساً من الموت » هى نفس الذى ضل ، « ويستر كثرة من الخطايا » أى خطايا الباحث عن الضالين . لأنه كما نستر على الضالين بردهم إلى طريق الحق ، يستر الله أيضاً علينا من جهة خطايانا الكثيرة . فنى ترفقنا بالساقطين يقيمنا الرب معهم ويترامف علينا [٩١] .

يقول **القديس بينوفيوس** [٩٢] (وأيضاً مع الرحمة والإيمان تمحى الذنوب إذ بالرحمة والحق يستر الإثم (أم ١٦ : ٦) ... وذلك كما بواسطة شوقنا نحو خلاص الذين ضلوا وسعينا وتعبنا بانذاراتنا ووعظنا) .

ويقول **القديس أغريغوريوس** [٩٣] (إن كان الذى يخلص إنساناً من الموت الجسدى - مع أنه إن لم يحده الموت اليوم يموت غداً - فإنه يستحق مكافأة عظيمة ، فأى مكافأة يستحقها من يخلص نفساً من الموت الأبدى ويسبب لها مجد أبدى لا تخسره أبداً ؟ !) .

ويقول **القديس يوحنا الدوجى** [٩٤] (التقرب بنفس واحدة إلى الله بالتوبة أفضل عند الله من جميع القرابين ، إذ ليس فى العالم عند الله أفضل من النفس الإنسانية ، لأن كل ما فى العالم يزول إلا النفس المذكورة فإنها عالدة) .

ويقول **القديس يوحنا ذهبى الفم** [٩٥] (لتولول عليهم أشد من ولولة النساء

---

(٩١) راجع نح ٥:٤٤ ، مز ١٠٣:٢ ، أم ١٢:١٠ ، ١ بط ٤:٨ ، ١ يو ١٢:٣ .

(٩٢) مناظرات يوحنا كاسيان ٨/٥٠٧ (٩٣، ٩٤، ٩٥) الحب الأخوى ٧٣

النادبات ، لأنهم يجهلون خلاصهم . لأن المرأة لا تحب رجلها هكذا كما نحب نحن كافة الناس لنجذبهم للخلاص . . .) .

(إن رأيت أعمى سيسقط فى هوة أما تمد يدك إليه وتسنده حالاً ، فكيف إذن يسوغ لنا أن نرى إخوتنا ساقطين فى مثل هذه المخاطر ولا نمد إليهم يد الإغاثة وهم مشرفون على السقوط فى الحفرة الجهنمية الخالدة) .

متى رأيت إنسانا محتاجاً إلى شفاء روحى أو جسدى ، لا تقل فى نفسك إن هذا من عمل فلان أن ينقـــذه من شره ويشفيه ، فإننى أنا علمانى ولى زوجة وأولاد ، وهذا من عمل الكهنة والرهبان .

أجبنى يا هذا هل لو وجدت وعاءً مملوءاً ذهباً تقول فى نفسك لِمَ لا يأخذ هذا الوعاء فلان أو فلان ... بل تبادر كالذئب الخاطف وتأخذه قبل أى إنسان.

ليكن لك هذا الإشتياق بالنسبة لإخوتك الساقطين ، **واضعا فى نفسك انك وجدت كنزا ثمينا جدا ، وهو اعتناءك بأمر خلاص اخيك** . هوذا الله نفسه يقول على فم رسوله أنك إن إنقذت إنساناً من الضلالة تخلص نفساً من الموت !) .

† † †